الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العـدد ٤٣ – ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٤ – السنة الثانية

2 me Année, No 43.

Lundi-30-4-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم { ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٤٣ « القاهرة في يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٣٥٣ — ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد

أحاديث الاسبوع ...

للدكتور طه حسين

كان جو القاهرة قلقا مضطربا اثناء الاسبوع . يذكر الشتاء المدبر فيستحضر بعض ارواح البرد ، ويلمح الصيف المقبل فيسرع الى بعض بشائر القيظ . وكان النهار ضعيف الذاكرة جدا ، محى الشتاء من نفسه محوا على قرب عهد الشتاء . وكان الليل وفيا بعض الشيء ، قوى الذاكرة الى حد ما ، رفيقا بالناس بعض الرفق ، كأنما كان يشفق عليهم من قسوة النهار ونسيانه للعهد ، وزهده في الامس وتهالكه على غد . فكان يثير لهم بعض هذه النسمات الهادئة الحلوة التي تغرق احيانا في الهدوء والخفة حتى توشك ان تكون لاذعة ، وحتى تلفت الناس الى أن من الخطر ان يخونوا عهد الشتاء كما خانه النهار ، وان يتهالكوا على عهد الصيف كما تهالك عليه النهار ، وان يتخففوا من ثيابهم ، ويتهاونوا في الاحتياط والحذر من هذه الارواح القليلة الخفية المغرقة التي تتعلق بشعاع من أشعة القمر ، او بنفس من انفاس النسيم ، والتي لا تنكره احيانا ان تمس المهملين مسا خفيفا ، فتعرضهم للأذى ، وتحملهم من الآلام جهدا ثقيلا .

وكان الناس ، أو بعبارة ادق ، كان الادباء يسايرون الزمان كدأبهم في كل حين وفي كل بيئة . كانوا يفترون للنهار وينشطون لليل ، كانوا يثقلون للظهر ، ويخفون لمغرب الشمس ، كانوا يؤدون

أعمالهم خامدين هامدين في الضحى ، او يتخذون شكل الذين يؤدون أعمالهم وهم لا يؤدون منها شيئا . فاذا القت الشمس يدا فى كافر كما كان يقول لبيد، خفت الاجسام، ونشطت النفوس، واتسعت الرئات للهواء ، وتفتحت العقول والاذهان للخواطر ، وانطلقت الألسنة بالحديث ، ولم تكن احاديث الادباء فى هذا الاسبوع قليلة الخطر، ولا ضئيلة الشأن، ولا هينة الامر على المتحدثين بها من الادباء ، والمتناقلين لها من غير الادباء، لهم قد بدأوا أحاديث الاسبوع بهذا الاجتماع الذى ختم به الاسبوع الماضى ، والذى كان عند جماعة « الاسيست» ، وقصد به لا أقول الى إحياء ذكر مختار ، بل أقول الى ذكر مختار ليس غير. وكان حديث الأدباء عن هذا الاجتماع طريفا ، لأنه لم يزد على أن ذكره والم به دون أن يفسره أو يعلق عليه . وهل أحاديث غير الأدباء فى مصر الآن خير من أحاديث الأدباء ؟ فانت تستطيع أن تلتمس النشاط عند رجال السياسة ، أو عند أصحاب المال ، أو عند غير أولئك وهؤلاء من طبقات الناس ، فان استطعت أن تجده أو تجد صورة من صوره فانت منصف حين تلوم الأدباء على القصور ، وتعيبهم بالفتور . على أن شيئين لم يهملهما الأدباء حين تحدثوا عن هذا الاجتماع ، إن كانوا قد تحدثوا عنه بالفعل أو خاضوا فيه حقا ، ولم يكن هذا الحديث الذى أنقله عنهم خيالا فاترا فتور حياة الأدباء كلها فى هذه الايام . فاما أول هذين الشيئين : فهو أن هذا الاجتماع انما كان أثرا من آثار الشباب ، ومن آثار الشباب وحدهم . هم الذين فكروا فيه ، وهم الذين دعوا اليه ، وهم الذين ألحوا فى الدعوة ، فوفقوا الى إكراه جماعة من الكهول والشيوخ على الاستجابة لدعوتهم ، وظفروا من جماعة أخرى بالوعود والامانى التى لم يقدر لها الوفاء ولا التحقيق ، ولم يظفروا من جماعة آخرين بوعد ولا أمنية ، فضلا عن الوفاء أو التحقيق .

وأما الشىء الثانى فهو أن هذا الاجتماع لم يحدث فى الأدب حدثا ، ولم ينتج له جديدا، الا كلمة طريفة قيمة مؤثرة ، قالها صديقنا مصطفى عبد الرازق . فأما مادون هذه الكلمة فلم يكن شيئا ، حتى أن صديقنا مطران لم يستطع الا أن يعيد على السامعين قصيدة رائعة بارعة من غير شك ، ولكنها قديمة ، انشئت وأنشدت لاستقبال مختار حين عاد ظافرا يستقبل المجد . ثم استخرجت وأنشدت لوداع مختار حين استأثر به الموت ، فولى يودع المجد ويودع الحياة والغريب أن هذا الاجتماع كان لتكريم الفن ، ولتأبين المثال الأول فى تاريخ مصر الحديثة ، المثال الذى ابتكر من الآثار ما يقال إنه جميـــل رائع ينطق البكم ويثير حس الذين لا يثور لهم حس ، ويفيض شعور الذين لا يفيض لهم شعور ، ومع ذلك فهو لم ينطق أدباءنا ـ وما اكثر ما كانوا ينطقون ـ ولم يثر حسهم ـ وما اكثر ما كان يثور . ولم يفض شعورهم ـ وما أكثر ما كان يفيض . تساءل الأدباء عن مصدر هذا فى السر أو فى الجهر ، فى النوم او فى اليقظة ، فى الحقيقة او فى الخيال . فكان الجواب أن مصر الآن نائمة تستريح

ثم مضى يوم ويوم من الاسبوع ، واذا الأدباء ينسون حديث مختار ان كانوا قد ذكروه ، لأن حديثا آخر قد فتحت لهم أبوابه ، ومدت لهم أسبابه ، وهو حديث صحيفة اضطرها حكم القضاء الى الصمت . فتفرق كتابها ، وانتشر أصحابها فى الارض يبتغون من فضل الله عليهم وعلى الناس ، وسكت هذا الصوت، او هذه الاصوات التى كانت تسمع مع الصباح فى كل يوم ، والتى كانت تفتح للساسة والادباء واصحاب الاقتصاد والذين يلتمسون الانباء فنونا من القول والوانا من الحـديث . تحدث الادباء عن هـذا الحـدث الادبى السياسى ، فى السر أو فى الجهر ، فى النوم أو فى اليقظة ، فى الحقيقة أو فى الخيال . وتساءلوا ماباله لم ينطق الادباء بشىء ، فكان الجواب ان مصر الآن نائمة تستريح .

ثم مضى من الاسبوع يوم ويوم ويوم . واذا حفـل يقام واجتماع يحتشد له الناس فى ملعب من ملاعب التمثيل ، واذا خطب تلقى مختلفة ألوانها ، متباينة اشكالها ، واذا شاعر يكرم بهذا الاجتماع الضخم ، وبهذا الاحتفال الرائع ، وبهذه الخطب الطوال . واذا الادباء ـ استغفر الله ـ بل الشعراء منهم خاصة ، يتحـدثون بهـذا الحدث الادبى ، ويتناقلون انباءه ، ويفسرونها ويؤولونها، فى السر أو فى الجهر ، فى النوم أو فى اليقظة ، فى الحقيقة أو فى الخيال . ثم يتساءلون ما بال الشعر لم يأخذ بحظه من تكريم الشعر ، وما بال الشعراء لم يشاركوا فى تكريم الشاعر ، فكان الجواب ان مصر الآن نائمة تستريح

وانا أعترف بأنى لم اكره هذا الجواب ، ولم اضق به ، لحب النوم والاغراق فى الراحة شر ، ولكن بعض الشر أهون من بعض

وانا أعترف بأني أوثر هذا الجواب على جواب آخر بغيض، لا أحب ان اسمعه ولا أن يسمعه غيري ، ولا أن يكون هو المصور لحقيقة الأمر . وقد كان يهمس به بعض الناس الذين يفترون الكذب على الله وعلى النـــاس ، فكانوا يقولون وليتهم لم يقولوا : انما تثاقل الأدباء والمثقفون من ذكر مختار لأن ذكر مختار شيء يخاف ، وكانوا يقولون وليتهم لم يقولوا : انما سكتت أصوات الأدباء عن صمت أولئك الكتاب ، لأن التعرض لصمت أولئك الكتاب أو نطقهم شيء يخاف . وكانوا يقولون وليتهم لم يقولوا : إنما ثقل الشعر على تكريم العقاد ، لأن تكريم العقاد شيء يخاف من جهة ، وشيء يشق على الشعراء من جهة أخرى . وقد استقر الخوف على أحد جناحي الشعر ، واستقرت المنافسة على جناحه الآخر ، فظل المسكين جاثما على الأرض ، لا يستطيع أن يرقى في الجو ، ولا أن يسبح في الهواء .

أما أنا فلم يعجبني الجواب الأول ، لأني رجل لا أحب النوم ، ولا أستريح إلى الراحة ، ولم يعجبني الجواب الثاني ، لأنه كذب كله ، أملاه سوء الظن وحب الكيد . ولهذا أعرضت عن أحاديث الأدباء في هذا الأسبوع ، وتحدثت إلى نفسي ، وإلى نفسي وحدها ، بحديث لا صلة بينه وبين الأدب ، ولا صلة بينه وبين السياسة ، ولا صلة بينه وبين شيء مما يعنى به الناس الممتازون في هذه البلاد الآن ، وهو حديث المنجمين . لا تعجب ولا يأخـــذك الدهش ، فقد فكرت في المنجمين وأطلت التفكير . ألم تزعم لنا الصحف أن السلطان يطارد التنجيم والمنجمين في مصر ؟ فما يمنعني أن أفكر في التنجيم والمنجمين وأنا أقرأ في الصحف الأوربية أن التنجيم ينهض في أوروبا بعد كبوته ويستيقظ بعد نومه الطويل ، ويسترد مكانته العليا في قصور الملوك ودواوين الوزراء ، أستغفر الله ، بل في ميادين القتـــال ، بل في الجامعات أيضا . فهذه صحيفة فرنسية ـ النوفيل ليترير ـ تحدثنا بأن صاحب الجلالة جورج الملك الامبراطور ، قد عني بالتنجيم وحديث المنجمين ، فأبى أن يسافر ابنه الى استراليا يوم كان المنجمون يخافون منه الشر ، واحترقت فيه طيارة فرنسية كانت تحمل حاكم الهند الصينية العام .

والصحيفة نفسها تحدثنا بأن الزعيم الايطالي المعظم يحفل بالتنجيم والمنجمين ، كما يحفل بالسياسة والساسة . وهي تحدثنا بأن الالمانيين كانوا قد أخذوا بقيادتهم العليا أثناء الحرب منجمين ، وكانت كلمة هؤلاء المنجمين مسموعة ، وكانت وعود المنجمين لقواد الالمان أصدق من وعيد المنجمين للمعتصم بن الرشيد . والصحيفة نفسها تحدثنا بأن الالمانيين انشأوا كرسيا للتنجيم في جامعة برلين سنة ١٩١٨ . ثم الصحيفة نفسها تلوم فرنسا لأنها لا تعنى بالتنجيم والمنجمين عناية الانجليز والايطاليين والألمان ، فكيف لو علمت هذه الصحيفة أن المصريين يعدون التنجيم اثما ، ويرون المنجمين جماعة من المتشردين ؟ الايؤذن لنا في أن نلفت السلطان إلى أنه ليس من الضروري أن يكون بيننا وبين الاوروبيين هذا الأمد البعيد فنحارب التنجيم ونعرض عنه حين يؤيده الأوروبيون ويقبلون عليه . أليس من الخير أن يكون لكل وزارة منجمها ؟ بل مالنا وللوزارات ومنجميها ؟ ألسنا نرى أن التحدث الى النفس في التنجيم والمنجمين خير من التحدث اليها في الادب والادباء ؟

طه حسين

أخطاء مطبعية في العدد الممتاز

جاء في ص ٦٤١ ع — ٢ س ٩ : قد أفلح المشرفون والصواب قد أفلح المشرعون

« « ٦٥١ ع — ٢ س ٩ : والله عزيز ذو انتقام ، والصواب عزيز حـــكيم

« « ٧٠٠ ع — ٢ س ١٥ : الخصيب بالخاء ، والصواب بالحاء وهو على وزن الثلاثي المصغر

« « ٧٠٢ ع — ١ س ١٧ : من فوق شفاهنا ، والصواب من فوق الشفاه

« « ٧٠٣ ع — ١ س ٧ : قطوفنا المجرمة ، والصواب المحرمة

« « « س ١٠ : الخليفة قصر ، والصواب قصر الخليفة

حكمة غاندى

وضع أحد كتاب اليونان الشباب ترجمة للمهاتما غاندى أسماها « الحياة المقدسة » ونحن نقتبس منها هنا حديثا لغاندى يقارن فيه بين عصر الآلة وبين الحياة فى عصر الصناعة اليدوية التى يحدثنا عنها فى تأثر وحنين :

كانت حياتنا فى الازمنة الخالية ، قبل أن يحل بيننا هذا الوحش وأعنى به الآلة ، حياة انسانية جميلة . فقد كان عندنا متسع من الوقت للتفكير والخلو الى النفس فى المعابد صباحا ، وتحت ظلال الاشجار فى هجيرة الظهر ، وفى أفنية المنازل مساء ، حتى فى أوقات العمل ونحن جلوس الى المناسج أو قائمون فى المزارع نفلح الارض ، نجد الوقت للانشاد وللتوجه بأرواحنا الى ملكوت الجمال والحق .

أما اخواتنا فانهن قبل الشروع فى اعمالهن فى الحقول ، يضفرن اكاليل الزهر ويعلقنها على قرون البقر ، فلم يكن للزمن عندنا فى يوم من الايام من المعنى ماله اليوم عند الاوروبيين . ولم يعلمنا واحد من حكامنا هذا المبدأ المنكر « الوقت من ذهب » فلم نكن من الهيام بالذهب بحيث نضحى كل وقتنا من أجله . لأن العمل فى اعتقادنا هو خلق الجمال والتوجه بأرواحنا الى الله

وإنى لأذكر أن أبوى فى صغرى أخذانى معهما لأشهد كيف يكون بدء اشتغال الفتى بصناعة أبيه . فقد كان الفتى أول الامر يمضى للاغتسال فى النهر ليكون لجسمه طهارة نفسه . ثم تأخذه أمه الى المعبد . ويكون أبوه وشيوخ القرية فى انتظاره حول النار المقدسة وعند ذاك يسأله أبوه :

— أتريد استئناف صناعتى ؟ أتريد أنت أيضا أن تصبح حدادا ؟

— نعم يا أبت .

ثم يقسم اليمين المفروضة :

« أقسم بالنار ، وباجدادى ، وبالله الحى القيوم ، أنى راغب فى ان أكون حدادا ، وانى راغب فى خلق الجمال والمنفعة للناس »

واذ ذاك يقدم له أبوه وأخوته الصغار ، ويعنى بها الادوات ، لأنها له بمثابة الخلان الأوفياء فى حياته العاملة الكادحة .

ويتناول الفتى محراك الجمر والمطرقة والكير والمبدع من أدم وهو يتناولها بحنان كأنها احياء ، ويقول مجدداً يمينه :

« أقسم أنى لا أدنس هذه الادوات . وانما استخدمها فى خلق الجمال والمنفعة للناس »

ثم يستطرد غاندى فى ذكرياته :

لقد عرفت العهد السعيد الذى كان فيه ناسجو الشيلان مثلا فى عداد الفنانين ، أى صنو المثالين والرسامين سواء بسواء .

وكانوا يجلسون وصبيانهم حول المنسج يمسك هذا كبة الصوف الازرق ، والآخر الاحمر ، وذاك الصوف المعصفر ، وذلك الاخضر ...

وفى صباح كل يوم قبل البدء فى العمل ، يرفع المعلم الشيخ عصاه . فيسود السكون مطلقا شاملا . هذه آونة التأمل ، ثم تعقبها الصلاة . فيبتهلون الى الله ان يعينهم على صنع ماهو جميل ونافع للناس . فاذا فرغوا من الصلاة ، أخذوا فى الانشاد على فريقين سائل ومجيب :

— ماذا تنسجون ؟ ننسج السماء ونجومها

— ماذا تنسجون ؟ ننسج الارض وزهرها

— ماذا تنسجون ؟ ننسج البحر وحيتانه وسفائنه

والصبيان يداولون خيوط الصوف ، كل فى دوره ، فى حركة موزونة موقعة . والمعلم جالس فى وسطهم يضبط الايقاع ، وينظم بعصاه الصغيرة حركة الذهاب والاياب للخيوط المتداولة زرقاً وحمراً وخضراً . فتتولد شيئا فشيئا قطعة موسيقية من النسج عجيبة التأليف من الشيات والالوان .

ويتجدد هذا العمل كل يوم بين الصلاة والانشاد

وبعد أسابيع ثلاثة يتم الشال . واذ ذاك يستعرضه كل صبى ويقلبه بين يديه معجبا بجماله ، هذا صنيعهم اجمعين . وهم يحبونه كأنه مخلوق حى لا تقوم نفاسته بثمن ، فيرمقونه طويلا بانظارهم ، ويمسحون عليه بأيديهم ، ولا تكاد تطاوعهم أنفسهم على التخلى عنه

ويقول المعلم الشيخ : — هيا اطلقوا عليه اسما

فيقول الشيخ : بل نسميه « البهيج » أليس هو وليد البهجة وصنع الفرحة والحبور ؟

فيهتف الجميع استحسانا ، ويمضى الشال فى طريقه الى الدنيا الواسعة ، ويأخذ المعلم وصبيانه من جديد فى عملهم . وهكذا فى كل ثلاثة أسابيع يطلعون للدنيا آية جديدة

عبد الرحمن صدقى

الموت والحيـــاة

للاستاذ احمد امين

أبت عليّ نفسى أن تكتب اليوم إلا فى الموت ، وهل نتاج الكاتب إلا قطعة من نفسه ؟ يفرح فيرقص قلمه ، وينقبض فيسبل قلمه بالدمع ، وقد كرهت للقراء هذا العنوان فأضفت الى الموت الحياة ، ولست أدرى لمَ يلطف ذكر الحياة الموت ، ولا يلطف ذكر الموت الحياة !

دعا الى هذا أنى فجعت هذه الأيام بموت أصدقاء كأنهم كانوا على ميعاد ، وكأن لموت الأصدقاء أيضاً موسماً كسائر المواسم وإن لم يحدد زمنه ويعرف مداه

تنفــكُ تسمع ما حيـ ـتَ بهالك حتى تكونه
والمرء قد يرجو الحيا ة مؤملا والموت دونه

وكان آخرهم صديق استعجل الموت فأنشب فى المنية أظفاره قبل أن تنشب فيه أظفارها ، وقطع حظه من الدنيا قبل أن تستوفى حظها منه ، لم يصبه سهم القضاء فأخذ السهم منه ورماه بنفسه فى نفسه فمضى سابقاً أجله — غربت شمسه ضحى ، واستكملت ساعته دقاتها قبل ميعادها

كان سرىّ النفس ، نبيل الخلق ، طيب العنصر ، يغبطه كل من عرفه على ما وهب من خلال ، وما تهيأ له من وسائل الرفاهة وأسباب النعيم ، وما دروا أن الأمر فى السعادة والشقاء الى ما فى داخل النفس لا ما فى خارجها ، وأن نفوساً قد تشقى فى النعيم ، ونفوساً قد تسعد فى الشقاء.

جزعت لموته واستكنت للعبرة ، وفقدت بفقده السلطان على دمعى وقلبى ، فرحمه الله ورحمنى .

***

ولكن ما الجزع من الموت وقد طال عهدنا به ، وعرفه بنو آدم منذ عرفوا الحياة . ولمَ لم يألفوه كما ألفوا كثيراً من المر حتى اعتادوه ، وليس الموت فى ذاته مراً ولا أليما ، وكما قال أحد الرواقيين « ان الموت هو وحده المصيبة التى لا تمسنا ، ففى حياتنا لا موت ، واذا جاء الموت فلا حياة » وقد نظم المتنبى هذا المعنى فقال :

والأسى قبل فرقة الروح عجز
والأسى لا يكون بعـــد الفراق

ولكن أعظَمَ الناسُ شأن الموت لما أحاط به من ظروف ، وما اتصل به من خيالات ، وأثير حوله من رعب — بالغ بعض من رجال الدين فى تفظيع الموت ، وهولوا من شأنه تهويلا تنخلع له القلوب ، وتقشعر منه الجلود ، لانهم رأوا فى ذلك درساً قاسياً يردع المجرم عن اجرامه ، ويزع الآثم عن اثمه ، ولكن أخشى أن يكونوا قد أفرطوا افراطا شل النفس وأشاع فيها اليأس . وانهم — وقد عهد اليهم أن يعادلوا بين الترغيب والترهيب — قد أرهقوا كفــة الترهيب حتى ثقلت وهوت ، وخففوا كفة الترغيب حتى شالت وعلت — ولعل هذا كان من الاسباب التى جعلتنا نتسخط الحياة ونتبرم بها . ثم ما هذه الاخلاق التى هى أشبه ما تكون بأخلاق العبيد ! لا ندعى للخير الا بالعصا ، ولا تطلب منا الفضيلة الا بالسياط ؟

أليس خيراً من ذلك أن يحدونا الى الخير الحب . لا أن يسوقنا اليه الرعب ؟

ثم زاد الموت سوءا ما أحاطه به الاحياء من مظاهر الفزع والالم ، فصراخ تنفطر له المرائر ، وبكاء يذيب لفائف القلوب ، والناس حول الميت بين ساهم البصر ، ومطرق الطرف ، ومكروب النفس ، وناكس الرأس ، يتأوه الآهة تنقصف منها ضلوعه ، ويزفر الزفرة تتصدع منها نفسه — لست أظن ان هذا وأمثاله من طبيعة الانسان ، قد يكون من طبيعته الحزن على فقد القريب والصديق ، ولكن ليس من طبيعته الجزع ، فلو اعتاد قوم ان يقابلوا الموت كما يقابلون أية ظاهرة طبيعية فى الحياة لزال الجزع وخف الالم ، كما حدث عند بعض الامم ، استطاعوا أن يضبطوا عواطفهم وينفقوا من الحزن بقدر ، وأن يرددوا

قول القائل « مات الميت فليحى الحى » وتفاخروا بالجلد كما تتفاخر بالجزع ، وتواسوا بالثبات كما نتواسى بالهلع

ثم كان من الادباء ما كان من رجال الدين : حزنوا للشيب اذ فقدوا الشباب ، أكثر مما فرحوا بالشباب يوم أن كان ، ووقفوا فى مراثيهم موقف النادبات فى المآتم ، يعجبون كيف كان الموت وكيف نزل ، ويلهبون عواطف الناس ، ويثيرون أشجانهم ، ويعدون أقدرهم على القول وأقربهم الى الاجادة من عرف كيف يستخرج الدمع ويستنزف الشؤون ، فكان من هذا وذاك افساد عواطف الناس نحو الموت ودفعهم الى التغالى فى المشاعر

ثم أخطأ الناس فى القياس ، فظنوا أن النفس تألم فى الحياة الاخرى بما تألم به فى الحياة الدنيا . ظنوا أن القبر يوحش بعزلته كما يستوحش الحى من عزلته ، وان القبر يرهب بضيقه وظلمته ، كما يتبرم الحى بضيق المكان وظلمته ، وأن الميت يألم من البرد القارس كما نألم ، ويضجر من الحر القاسى كما نضجر ، وغاب عنهم ادراك الفرق بين الحياتين ، والاختلاف الواسع بين الطبيعتين

اذا افترقت أجزاء جسمى لم أُبَلْ
حلول الرزايا فى مصيف ولا مشتى

***

ان تفظيع الموت يدعو الى نوع من الحياة لا هو حياة ولا هو موت ، ولعل كثيراً من رذائل الشرق سببه ما اعتاده قادتهم من تهويل الموت وتفظيع شأنه ، والا فما الذى يجعلنا نرضى بالعيش الذليل بين أحضان آبائنا وأمهاتنا ولا نتطلب العيش السعيد بالهجرة والارتحال ؟ وما الذى يدعونا الى الفرار من المغامرة فى شؤون الحياة ، والركون الى عيش الدعة والاطمئنان ، الى كثير من امثال ذلك ؟ لا شىء الا التغالى فى الخوف من الموت ، للتغالى فى تهويل الموت

لقد جل خطب الحياة ان كان كلما مات قريب أو صديق ذابت النفس حسرات ، وأظلمت فى وجهنا الدنيا ، وتطرق الينا اليأس .

لا . لا . اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، وتباً لهؤلاء الذين يخلعون قلوبنا بالموت فنكون طعمة لمن يحبون الحياة

ولنبدأ دعوة جديدة قوامها العمل للحياة و « لا بأس بالموت اذا الموت نزل » .

أحمد أمين

الانقلاب الجمهورى فى اسبانيا

٢ — حرب الريف الى قيام الجمهورية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت حوادث مراكش كابوس السياسة الاسبانية منذ نهاية الحرب . وكان لها أكبر أثر فى تطور الحوادث التى انتهت بظفر الديموقراطية وقيام الجمهورية ، وما زلنا نذكر تلك الحرب التحريرية العجيبة التى شهرها عبد الكريم زعيم الريف على اسبانيا مدى أعوام ، ودحر خلالها الجيوش الاسبانية مراراً ، وكاد يظفر بسحق سيادة اسبانيا فى شمال مراكش لولا أن تألبت عليه قوى الاستعمار أخيراً واتحدت فرنسا مع اسبانيا على محاربته وسحقه ، فكان ما أراد الاستعمار .

وكانت اسبانيا تعانى فى بلاد الريف (شمال مراكش) منذ احتلالها متاعب جمة من جراء ثورة القبائل وتضطر دائماً إلى الاحتفاظ بجيش ضخم ، ولكن أول نكبة حقيقية نزلت بالجيش الاسبانى فى بلاد الريف ، وقعت فى أنوال سنة ١٩٢١ ، ففيها هاجم عبد الكريم زعيم الريف مراكز القوات الاسبانية فى تلك المنطقة ، وكانت تبلغ زهاء تسع عشرة ألفا ، فمزقها واستولى على مراكزها وذخائرها ، وقتل منها نحو ستة عشر ألفا ، وفر الباقون فى مختلف الانحاء ، وانتحر قائدها الجنرال سلفستر . وكان محمد بن عبد الكريم الخطابى من أبناء بنى أراغيل ، رباه أبوه تربية حسنة ، ودرس اللغة الاسبانية ، والتحق بوظيفة فى الادارة الاسبانية بمليلة ؛ وفى سنة ١٩١٩ وقعت بينه وبين الجنرال سلفستر مشادة حادة وأهانه القائد ، ففر من مليلة وهو يعتزم الانتقام ولحق بأخيه (محمد أيضا) وهو

مهندس درس فى اسبانيا . وكانت القبائل يومئذ تتحفز للانتقاض ، وكانت قد تلقت أيام الحرب كثيراً من الأسلحة والذخائر التى هربت بواسطة الألمان ، فكان ذلك أكبر عون لها على مقاومة القوات الاسبانية وازعاجها من وقت لآخر . فلما فزعبد الكريم من مليلة داعيا الى الثورة التف حوله عدة مئات من الرجال الأشداء ، واستطاع بهذه القوة الضئيلة أن يدبر ذلك الهجوم الجرئ على المراكز الاسبانية فى انوال وأن ينزل بها تلك الكارثة الفادحة (يوليه سنة ١٩٢١) ، واستولى عبد الكريم على كميات هائلة من الاسلحة والذخائر مكنته من المثابرة فى الحرب أعواما . وكان للنكبة وقع عميق فى اسبانيا ، فاضطرم الرأى العام سخطا واضطرت وزارة سالازار الى الاستقالة ، وألفت وزارة محافظة برياسة السينور مورا . ولكن الرأى العام ظل على اضطرامه ، وارتفعت الصيحة بطلب التحقيق فى الكارثة ، وحملت الدوائر العسكرية على البرلمان باعتباره مسئولا عما وقع من الاضطراب والخلل فى الخطط والتدابير العسكرية ، وأرسل الى مراكش جيش ضخم يبلغ مائة واربعين الفا لتدارك الموقف وانقاذ القوات الحرجة ، وانتدبت الوزارة لجنة للتحقيق ، ولكنها اضطرت الى الاستقالة قبل ان تقوم اللجنة بمهمتها ، فقامت وزارة محافظة أخرى برآسة السينور سانكيز جويرا ، ثم تلتها وزارة حرة برآسة جراسيا بريتو ؛ وفيها تولى وزارة الحربية موظف مدنى هو الكالا زامورا الذى يتولى اليوم رآسة الجمهورية الاسبانية ، ولكنه استقال غير بعيد وخلفه جندى هو الجنرال ايزبورو ، وكان من أنصار العسكرية الرجعية وحلفائها ، ومن خصوم النظام الدستورى ، فأخذ يعمل بكل ماوسع لتوطيد النفوذ العسكرى فى شئون الحكم ، وكان هذا النفوذ يشتد يوما فيوما ، تغذيه حوادث مراكش ، وماأثارته من الاضطراب .

وفى خريف سنة ١٩٢٣ تمخض النضـــال بين العسكرية والديموقراطية عن نتيجة حاسمة . وذلك أن الدون مجويل بريمو دى رفيرا حاكم قطلونية العسكرى اعلن الثورة ضد الحكومة وهدد اعضاءها ، وايدته السلطات العسكرية فى مدريد وسرقسطة ، وأذاع فى البلاد منشوراً نادى فيه بتحرير البلاد من الساسة المحترفين الذين يحملون تبعة ماأصاب البلاد من محن ، واعلن قيام ادارة عسكرية فى مدريد ، تعمل لاقالة البلاد من عثراتها وحل المسألة المراكشية (اوائل سبتمبر سنة ١٩٢٣) . وكان الفونسو الثالث عشر يعتقد انه يستطيع انتهاز هذه الفرصة لاقامة الحكم المطلق واستئثار القصر بجميع السلطات ومن ورائه الجيش ، ولكن زعماء الجيش اصروا على ان يتولى زعيم الثورة الجنرال دى رفيرا الحكم . وفى ١٥ سبتمبر دخل دى رفيرا مدريد ، واحتل دور الحكومة ، وسيطرت العسكرية فى الحال على كل شىء ، وانشئت الادارة العسكرية وعلى رأسها دى رفيرا ، وأعلن ان البلاد فى حالة حرب ، واتخذت اجراءات شديدة لسحق كل معارضة ، وعطلت البرلمان ، وفرضت الرقابة على الصحف ، وذهب وفد من زعماء الساسة الاحرار والمحافظين الى الملك يناشده صون الحياة النيابية فرد بخشونة . وقد وصف هذا الطغيان العسكرى الجديد يومئذ بأنه « نظام يقوم على القوة باكثر مايقوم على السلطة ، ذو نزعة مركزية قوية ، يعتمد على مؤازرة الجيش ، ويميل الى عناصر الاحبار والكنيسة ، ويصادق كبار الملاك ، ويعطف على الاشتراكية فى خصومتها للحركة النقابية » وتولى الجنرال دى رفيرا جميع السلطات والوزارات على مثل السنيور موسولينى وقضى على جميع الحريات الدستورية التى تمتعت بها اسبانيا اكثر من قرن ، واستقبلت اسبانيا عهدا جديدا من الحكم الحديدى .

وكانت مسألة مراكش أهم وأخطر المسائل التى عنيت بها الادارة العسكرية ؛ وكان مركز اسبانيا يزداد حرجا فى الريف ، وتستنزف مواردها تباعا ، ويتساقط جندها امام هجمات عبد الكريم فرأى دى رفيرا أن يلجأ الى الصراحة والجرأة فى حل المسألة المراكشية ، وقرر أن تنسحب القوات الاسبانية من المناطق الداخلية وأن تمتنع فيما يلى الشاطىء ؛ وهكذا استطاع عبد الكريم أن يسيطر على اقليم الريف كله ماعدا تيطوان ومليلة ، واجتمعت حوله القبائل ، واضحى قوة يخشى بأسها فى شمال مراكش ؛ ولم يبق استقلال الريف أمنية مستحيلة ، ولم تبق على تحقيقها سوى مرحلة يسيرة ، ولكن الحوادث تطورت بشكل لم يكن يتوقعه عبد الكريم ولم تكن تتوقعه اسبانيا ذاتها . ذلك أن الفرنسيين تقدموا من حدود الريف الجنوبية ، وخشى عبد الكريم عواقب هذا التقدم ، فرأى أن يحول شطراً من اهتمامه الى هذه الناحية . وفى سنة ١٩٢٥ نظم عبد الكريم هجوما شديدا على مراكز تازة ووجدة داخل الحماية الفرنسية ، وأثخن فى بعض القبائل الموالية للفرنسيين وهدد مدينة فاس ، فارتاعت فرنسا لتلك المفاجأة ، وكانت لاتزال تلقى فى

مراكش متاعب جمة ؛ واعتزم الجنرال ليوتى حاكم مراكش العام أن يسحق تلك القوة الخطرة ؛ وفاوضت فرنسا اسبانيا فى تنظيم العمل المشترك فى مراكش ورحب دى رفيرا بهذه الفكرة ، ونظمت الدولتان خطة مشتركة لتطويق عبد الكريم وسحق قواته وبعثت فرنسا اثنين من أعظم قوادها وهما بتان ونولان الى مراكش على رأس جيش قوامه نحو مائتى الف مقاتل مجهز بأحدث الوسائل والعدد ، وأنزلت أسبانيا جيشا كبيرا فى الحسيمة ، ونظم الجيشان بادىء بدء خطة الاتصال . وهكذا طوق الزعيم الريفى فى مراكزه ولم يك ثمة شك فى مصير تلك الحرب التى تثيرها دولتان أوربيتان على زعيم محلى يعتمد على آلاف قليلة من البدو ويستمد موارده وذخائره من أيدى عدوه ، وأدرك عبد الكريم من شدة المعارك الاولى أن المضى فى القتال عبث ، وأن الدائرة دائرة عليه بلا ريب ، ففاوض الفرنسيين فى التسليم بلا قيد ولا شرط ، وفى ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ سلم نفسه الى الجنرال بويشيت ، ودارت بشأنه مفاوضة بين الحكومتين الفرنسية والاسبانية انتهت بتقرير نفيه مع أسرته الى جزيرة رينيون من أعمال مدغشقر ؛ وانهارت تلك الحركة التحريرية البديعة التى نظمها هذا الزعيم البربرى الباسل ، وعاد الاستعمار الاسبانى فوطد سيادته فى الريف ، ووطد الاستعمار الفرنسى سيادته فى شمالى مراكش ؛ وخسرت الدولتان فى تلك الحرب آلاف الرجال وملايين الاموال ، ولكن الاستعمار لم يكن ليحجم عن بذل مثل هذه التضحيات الهائلة فى سبيل القضاء على ثورة تحريرية تهدد مستقبله فى تلك الانحاء.

* * *

وهكذا حلت المسألة المراكشية . وكان حلها عاملا قويا فى تأييد نفوذ الدكتاتورية العسكرية وهيبتها . وفى عهد الدكتاتورية أيضاً تحسنت الأحوال الاقتصادية . ولكن وطأة هذا النظام المطلق لبثت تثقل كاهل الشعب الأسبانى ؛ وكان ظمأه الى الحريات الدستورية التى تمتع بها مدى قرن ، يشتد كلما اشتد ضغط الطغيان العسكرى ؛ وكان هذا السخط ينفجر من آن لآخر فى قطلونية وبعض الانحاء الأخرى عن ثورات محلية كان دى رفيرا (أو المركيز دى استيلا كما لقب بعد) يقمعها بمنتهى الشدة والقسوة ؛ وكانت الدكتاتورية مع ذلك تقوم دائما على بركان مضطرم ، حتى أن دى رفيرا اضطر أن يضع أسبانيا تحت الأحكام العسكرية (سنة ١٩٢٦) . وفى أوائل سنة ١٩٢٧ حاول زعيم قطلونية المنفى الكولونيل ماشا أن يعبر الحدود الفرنسية مع جماعة كبيرة مسلحة من أنصاره ليسير إلى قطلونية ؛ ولكن قبض عليه وعلى كثير من أصحابه عند الحدود . ورأى دى رفيرا أن يهدىء السخط العام بتخفيف وطأة النظام ، وأن يعود الى ظاهر من الحكم الدستورى ، فاصدر فى سبتمبر سنة ١٩٢٧ قانوناً بانشاء جمعية للشورى . ولكن هذه الجمعية لم تكن لها أية سلطة حقيقية ، ولم تكن إلا ستاراً فقط تستتر من ورائه الادارة العسكرية . وعلى ذلك فقد فشلت هذه المحاولة ، ولبثت المعارضة على شدتها واضطرامها . وكان الجيش أيضاً قد بدأ ينقلب على دى رفيرا ، أولا لأنه لم يوافق على مسلكه فى المسألة المراكشية حيث قرر الانسحاب أولا عن المناطق التى كان يحتلها الجيش ، ثم تساهل بعد ذلك فى الاتفاق مع فرنسا ، وثانياً لأنه كان يبالغ فى الاستئثار بالأمر ولا يرى فى الجيش سوى أداة لتحقيق سياسته ؛ وكان الفونسو الثالث عشر من جهة أخرى يشعر بوطأة هذا النظام الذى نزع العرش كل سلطاته . ومنذ سنة ١٩٢٨ أخذت بوادر السخط والانتقاض تبدو فى الجيش ؛ وفى سنة ١٩٢٩ ، ثارت فرق المدفعية بزعامة السينور سانكيز جويرا الزعيم المحافظ الذى تولى رياسة الوزارة فيما قبل ؛ وانتهز الفونسو الثالث عشر هذه الفرصة فأصدر أمراً بعزل بريمو دى رفيرا وحل الادارة العسكرية ؛ ولم يجد دى رفيرا سبيلا للمقاومة فأذعن وغادر منصة الحكم بعد أن لبث ستة أعوام يثقل كاهل الشعب الأسبانى بطغيانه وعسفه . وفى مستهل سنة ١٩٣٠ ، ألفت حكومة جديدة برياسة الجنرال برنجير ، لتعمل على إعادة الحكم الدستورى ؛ وهنا تنفس الشعب الصعداء ، وتقدم زعماء الأحزاب المعارضة (المحافظون والأحرار والجمهوريون) بطلب اجراء الانتخابات العامة ، فعارضت الحكومة فى اجرائها . واشتد السخط حينما رأى الشعب أن الحكومة الجديدة لم تأت إلا لتستمر فى تأييد نظام الطغيان والحكم المطلق . وفى ديسمبر سنة ١٩٣٠ ، شبت ثورة جديدة ، ولكن الجنرال برنجير استطاع أن يسحقها فى الحال . بيد أنه لم يلبث أن استقال ؛ وخلفه الجنرال آزنار على رأس حكومة شبه عسكرية أيضا ؛ وهنا تقدم الكونت رومانونيس زعيم الأحرار

الذى تولى رياسة الوزارة مراراً من قبل ، الى الوزارة الجديدة ، بنصيحة رآها كفيلة بحل الأزمة وتهدئة الخواطر ، وهى أن تجرى الانتخابات البلدية على الأقل مادام انها لا ترغب فى إجراء الانتخابات العامة ؛ فنزلت الوزارة عند هذا النصح ، وأجريت الانتخابات البلدية فى جميع أسبانيا فى العاشر من ابريل سنة ١٩٣١ . وكان يوماً حاسماً فى تاريخ أسبانيا الحديث ؛ ففيه خرج الجمهوريون فى جميع الدوائر باغلبية ساحقة ، وغمر التيار الجمهورى كل شىء فى البلاد ، فاستقالت الوزارة فى الحال . ورأى الفونسو الثالث عشر أنه لم يبق سبيل للمقاومة ، ولم تبق للعرش قوة يستند اليها ، فبادر بمغادرة مدريد مع أسرته وخاصته ، وعبر الحدود إلى فرنسا قبل أن تمتد اليه يد خصومه ؛ ولكنه لم ينزل عن شىء من حقوقه . وفى الحال نودى فى أسبانيا بسقوط الملكية وقيام الجمهورية ؛ وأقيمت حكومة جمهورية احتياطية برياسة الكالا زامورا وزير الحربية السابق ورئيس الشعبة المحافظة فى الحزب الجمهورى ؛ وأعلن فى الوقت نفسه قيام جمهورية فى قطلونية على رأسها الكولونيل ماشا ؛ وفى ٢٨ يونيه أجريت الانتخابات البرلمانية العامة ، فأسفرت كذلك عن أغلبية جمهورية ساحقة ، وتوطدت دعائم الجمهورية الجديدة بتأييد البلاد كلها .

* * *

وهكذا انهارت دعائم الملوكية الاسبانية العتيدة ؛ التى هى اقدم الملوكيات الاوربية ، والتى سطعت خلال قرون مديدة ، واخرجت ثبتا حافلا من الملوك العظام ـ ملوكية فرديناند الخامس وشارلكان وفيليب الثانى ؛ تلك الملوكية التى لبثت تغالب العرب فى اسبانيا ثمانية قرون ، والتى انتهت بالقضاء على دولة الاسلام فى الاندلس واسترجاع الوطن القديم كله . وهكذا ظفرت الديموقراطية الاسبانية ممثلة الشعب الاسبانى باسترداد الحريات الدستورية كاملة شاملة بعد أن كاد يقضى عليها القضاء الاخير . وكان أول ماعنيت به الحكومة الجمهورية هو أن تضع لاسبانيا دستورا جديدا لحماية المبادىء الجمهورية والحريات الشعبية ، واضطلع الكورتيز (البرلمان الاسبانى) بهذه المهمة منذ ١٤ يولية واتمها فى ديسمبر ؛ وكان من اهم المشاكل التى عالجها مسألة النظام الاتحادى الذى نشأ عن مطالبة قطلونية بالاستقلال الداخلى ؛ وقد اقر الدستور هذا المبدأ ، واعتبر اسبانيا جمهورية اتحادية واعترف باستقلال قطلونية الداخلى . وثمة مسألة خطيرة أخرى هى مسألة الكنيسة والدولة ، وقد انتهى البرلمان بالموافقة على فصل الكنيسة عن الدولة (١ اكتوبر سنة ١٩٣١) ولكن هذا القرار أحدث ازمة وزارية ، فاستقال السينور الكالا زامورا ، وقامت وزارة جديدة برياسة الدون مانويل أزانا .

وعانت اسبانيا خلال هذه الفترة كثيرا من المتاعب من جراء الثورات والمظاهرات المختلفة التى دبرتها احزاب اليسار المتطرفة ـ الشيوعيون والاشتراكيون ـ ومن الاعتصابات العامة التى نظمت فى كثير من انحاء البلاد ؛ وعانت الجمهورية الجديدة من جراء معارضة الكنيسة ودسائس الاحبار وفلول الملوكية ؛ ولكن الحكومة الجمهورية ابدت حزما وصرامة فى قمع الفتن الشيوعية ، وسحق دسائس الاحبار ؛ وثار بين اسبانيا والفاتيكان خلاف كبير من جراء نزع املاك الكنيسة ومطاردة الاحبار . واصدرت الحكومة قانونا خاصا لحماية الجمهورية (٢٠ اكتوبر) ـ وفى نوفمبر صدر قانون خاص باعتبار الفونسو الثالث عشر خارجا على القانون وبوجوب مثوله ومحاكمته : وفى العشر من ديسمبر أجريت الانتخابات لرآسة الجمهورية ، فانتخب السينور الكالا زامورا أول رئيس للجمهورية الاسبانية الثانية . وقد اضطرمت اسبانيا فى الفترة الاخيرة بعدة ثورات وفتن محلية ودبرت عدة مؤامرات ملكية ، ولكنها أخفقت جميعا : وفى العهد الاخير رأت حكومة الجمهورية أن تستعين على قمع الفتن بالتشريع الصارم فاصدرت قانونا باعادة عقوبة الاعدام ، وكان من جراء ذلك جدل حاد فى البرلمان بين الحكومة والمعارضة بزعامة السينور مورا وكادت تحدث ازمة وزارية جديدة ، ولكن السينور ليرو رئيس الوزارة الحالية استطاع ان يتلافى الازمة ، وصدر التشريع الجديد؛ وما زالت الجمهورية الفتية سائرة فى طريقها تغالب كيد خصومها من فل الملوكية والاحبار الذين قضت على سلطانهم وامتيازاتهم .

ولا ريب أن فى ظفر الديموقراطية باسبانيا إبان تلك الازمة العصبية التى تعانيها فى بلاد أخرى مثل ألمانيا والنمسا ، دليلا على أن الديموقراطية ما زالت تتمتع بحيوية كبيرة وانها انما تجوز أزمة وقتية لا تلبث أن تعود بعدها الى سابق توطدها وازدهارها

محمد عبد الله عنان

المحامى

هــل لمصر طراز ؟

للأديب حسين شوقى

يجب أن تكون أبنيتنا الخاصة والعامة على طراز وطنى . إما على الطراز العربى وإما على الطراز الفرعونى ، ولو أنى أفضل الطراز العربى بنقشه الدقيق الأشـبه بالدانتلا ، وزجاج نوافذه الملون الجميل ، لأن القاهرة الآن حاضرة العالم العربى أجمع .. كما أن الطراز الفرعونى لا يظهر بهاؤه إلا فى البنايات الكبيرة الشاهقة ؛ أما فى المساكن الصغيرة فقد يضيع فيها حسنه .. والطراز العربى قابل جداً للتطور مع مقتضيات العصر من مراعاة الاضاءة والتهوية دون أن يفقد شيئا من رونقه ، فقد شاهدت فى أسبانيا منازل خاصة بنيت على الطراز العربى المستحدث آية فى الذوق .. أما الآن فنحن فى فوضى ـ فى تشييد الدور ـ تجدهنا بناء على الطراز الفرنسى ، كما تشاهد بجانبه بناء على الطراز الانجليزى ، وترى الى جانب هذا وذاك بناء على الطراز الحديث .. قد تكون هذه الطرز كلها جميلة فى ذاتها ، ولكنها لا تناسب طبيعة البلاد ولا تقاليدها .

إن تعدد أشكال البناء فى القاهرة يقضى على جمالها وعلى طابعها الشرقى الرائع ..

يجب ألا يكون تقليدنا للغرب تقليداً أعمى .. لماذا لا نحذو حذو اليابان التى تأخذ عن الغرب مخترعاته ومستحدثاته ، دون أن تنزل عن تقاليدها ؟ كم صدق الكاتب الفرنسى الشهير بيرلوتى الذى كان صديقاً حميا للمرحوم مصطفى كامل باشا حين قال يحذرنا تقليدنا للغرب :

« تجنبوا الحثالة الغربيـة التى يغمرونكم بها حين تذهب جدتها عندنا .. حافظوا على آثاركم وعاداتكم ولغتكم الجميلة ... »

هناك مشكلة أخرى .. مشكلة البنايات الأثرية القائمة فى وسط القاهرة التى تعوق حركة العمران .. رأيى أن يحفظ منها الشىء النفيس ويحاط بمتنزه صغير أو ميدان . أما الباقى فيهدم بعـد أن يؤخذ له شريط سينمائى دقيق يكون وثيقة تاريخية عن هذه الأحياء للاجيال القادمة ..

أما الفن الحـديث وله أنصار كثيرون ، فلم يستقر على حال بعد ، ولا يزال فنانوه يتخبطون ، ينقضون اليوم ما أبرموه بالأمس . وأوربا نفسها تشكو من المبالغات التى حدثت فى الفن الحديث التى لا يقبلها ذوق ولا منطق .. واليك هـذه الفكاهة التى قرأتها فى إحدى الصحف الفرنسية نقداً لهذا الفن الحديث :

عرض أحد المصورين منظراً يمثل عبور بنى اسرائيل البحر الأحمر ، فسأله صديق له شاهد الصورة ، فلم يجد غير منظر البحر : ولكن أين بنو إسرائيل ؟ قال لقد انتهوا من العبور ، قال : وجند فرعون الذين يطاردونهم ؟ قال لم يأتوا بعد !

حسين شوقى

الفلسفة فى مهــدها

للاستاذ زكى نجيب محمود

لم تكد تقذف الحياة بهذا الانسـان فوق ظهر الأرض ضعيفا خائرا ، حتى دأب المسكين يسعى ويلح فى السعى كلما الحت عليه ضرورة البقاء ، ولم تكن الحياة حين ألقت به رحيمة كريمة فلم تبسط يدها فى العطاء بحيث تمنحه من قوى التفكير والغريزة ما يرد به غائلة الضرورة واعتـداء الطبيعة فى سهولة ويسر ، بل كانت مقترة مغلولة اليد ، واكتفت من ذلك بالحد الأدنى الذى يحتمه مجرد البقاء ، فجاء الانسان وكل بضاعته من التفكير شعاع خافت ضئيل ، يعينه على جمع القوت واقامة أسباب الحياة .

ولكن الزمان الذى يغير كل شىء قد أخذ بيـد الانسان فأخرجه قليلا قليلا من تلك الحياة التى كانت تقنع من الغنيمة بدفع الخطر ، وما زال به حتى شحذ مواهبه ووسع من نطاق ادراكه ، فمرن على القيام باعباء الحياة بحيث لم يعد يصدر ذلك عن شعور ووعى يستنفدان كل ما يملك من قوة ومجهود ، ثم لا يبقى له من دهره شىء . بل أصبحت شئون العيش عادة آلية يديرها اللاشعور . وبذلك استطاع أن يظفر بشىء من الفراغ فى الحين بعد الحين ، ينعم به بعد جهد العيش الجهيد ، فاخذ يلهو بهذا الكون الذى يحيط به ، والذى يبعث فى النفس اللذة والخوف فى آن ، ولكن ماذا عساه أن يقول عن ظواهر الكون لكى يرضى خياله

الساذج الغرير، سوى أقاصيص ينسجها له الوهم فيرويها لتكون له دينا وأدبا وعلما وما شئت من فنون الانتاج ، وهكذا كانت الميثولوجيا أول الامر ، ثم يمضى الزمن ويمعن فى مضيه ، فيدفع معه فى تياره الجارف هذا الانسان ، فاذا الخيال تضيق دائرته وتضيق . واذا العقل يتسع ويتسع ، ثم اذا بالانسان قد هانت عليه أعباء الحياة ، وخفت أثقال البقاء ، وبرد الهوب السوط الذى كانت تسلطه عليه ضرورة الحياة ليدأب فى جمع القوت ورد الخطر ، واستقبل الانسان عهدا جديدا رأى فيه اللذة والفراغ جنبا الى جنب مع عناء العمل ، وانتقل من حياة تملؤها الضرورات القاسية ، الى حياة يمازجها شىء من ترف الفكر وابداع الفن ، وعندئذ تغير موقف الانسان ، فلم يعد عبدا يذله قانون الحياة وكتب عليه أن يستمع لاملائه فيطيع ، بل أخذ يفكر فى خلق السموات والارض ويسأل نفسه لماذا يكون هذا هكذا ؟ وكيف يجىء ذلك كذلك ؟ فبدأت بذلك الفلسفة

وكان مهدها الذى تدرجت فى كنفه طفلة عابثة ، مستعمرة يونانية فى آسيا الصغرى على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، حاضرتها مدينة تدعى مليتس ، وفى ذلك البلد أضاءت شعلة الفكر خافتة أول الامر ، ثم شاء لها الله أن يمتد نورها ويتوهج حتى يكون فى أرض اليونان فلسفة عميقة كانت أساس البناء ، وجذرا للدوحة التى امتدت فيما بعد قوية مثمرة

فى مليتس - فى القرن السابع قبل ميلاد المسيح - نهض الانسان يحطم أغلال الضرورة التى كبلته حينا طويلا من الدهر ، وخص شطرا من حياته للتفكير المجرد ، الذى يقصد الى جمع القوت وتوفير أسباب العيش ، ولكن فيم عسى أن يفكر ذلك العقل الناشىء ؟ بدهى أن يتجه الى هذه الطبيعة التى يزخر عبابها بالكائنات ، والتى تحتويه فى غمارها وتملأ عليه شعاب نفسه وحسه ، ولم تكن الطبيعة موضوع فلسفته فحسب ، بل كان شعره قصيدا ينشد فى جمالها الخلاب ، وكان دينه تسبيحا لقوتها وجبروتها ، وأية غرابة فى هذا ؟ أليست سنة الحياة أن يبدأ الطفل حياته الفكرية بما يقع تحت الحس ثم يتدرج صاعدا الى الفكر المجرد ؟

وأول مااسترعى منه النظر واستدعى إعمال الفكر هو هذا التغير الدائب والتحول المستمر الذى يطرأ على الاشياء ، فها هو ذا كل شىء ، كائنة ما كانت مرتبته فى الحياة ، يجىء الى الوجود ليبقى حينا ثم يمضى ويترك الوجود ، ولكن يستحيل على الفكر الناضج أن يظن أن هذه الأشياء تأتى من العدم وتنحدر الى العدم ، فليست تدل الظواهر على أن هذا الشىء المعين حينما جاء الى الوجود ، قد بدأ حياة لا يربطها بالماضى سبب من الاسباب ، أو حينما يذهب وينقضى قد زال أثره وتلاشت مادته ، انما تدل الدلائل جميعا على أنها مادة موجودة يطرأ عليها التغير فتكون اليوم حجرا ، وتصبح غدا نباتا يحيا ، وقد تكون انسانا يفكر ويسعى بعد غد ، فليت شعرى ، أو ليت شعر الفلاسفة الأولين ، ماذا عساها أن تكون تلك المادة التى تملأ الكون وتبدو فى صور مختلفة متباينة ؟ تلك هى المشكلة التى حاول فلاسفة أيونيا أن يلتمسوا لها جوابا يقنع ويرضى

واذا التمس الفكر الانسانى مادة تكون أصلا لكل مايشمل الوجود من ظواهر ، فانه لن يصادف الا عددا قليلا من ألوان المادة التى يجوز لها أن تكون كذلك ، اذ لابد لهذه المادة الأولية المنشودة ألا تكون محدودة الصفات والخواص ، وأن تكون مرنة شديدة المرونة فى قابليتها للتشكل فى صور مختلفة ، وماذا تكون تلك المادة الأولية عند قوم يتاخمون البحر ، فيترسخ فى نفوسهم صورته ويدوى فى أسماعهم هديره كلما أمسى مساء أو أصبح صباح ، غير الماء ؟! فهو أدناها عند العقل الأيونى مأخذا ، وأقواها حجة . فليس عجيبا اذن أن ينهض طاليس ، أول فيلسوف عرفته الدنيا وأجمع على فلسفته المؤرخون ، وهو فى طليعة الباحثين عن تلك المادة التى نشدها العقل ، والتى تتركب منها الأشياء جميعا ، وتنحل اليها الأشياء جميعا ، ويعلن ان الماء هو قوام الموجودات بأسرها ، فلا فرق بين هذا الانسان وتلك الشجرة وذلك الحجر ، اللهم الا اختلافا فى كمية الماء التى يتركب منها هذا الشىء أو ذاك ، أليس الماء يستحيل الى صور متنوعة فيصعد فى الفضاء بخارا ، ثم يعود فيهبط فوق الارض مطرا ، ثم يصيبه برد الشتاء فيكون ثلجا ؟ واذن فهو غاز حينا ، وسائل حينا ، وصلب حينا ثالثا ، وكل مايقع فى الوجود لايخرج عن احدى هذه الصور الثلاث .

رضى العقل بادىء ذى بدء بالماء جوهرا للكون ، ولكنه مالبث أن أدرك انه مهما يكن للماء من مرونة وحيوية ، فان صفاته محدودة ، ضيقة ، لايمكن ان تسع كل ظواهر الوجود ، واذن فلابد للعقل أن يبحث ويجد فى البحث عن مادته الأولية التى ينشدها

لجأ انكسمندر وقرر حقا أن كل مادة يكون لها صفات بعينها لا تصلح مطلقا ان تكون أصلا للكون ، لأن مجرد الاعتراف بصفة ما هو دليل قاطع على وجود نقيضها ، فلا يمكن عقلا ان تفهم معنى الحرارة إلا اذا اقترنت فى ذهنك بالبرودة ، ولو تلاشت هذه لذهبت فى أثرها تلك ، واذن فيستحيل ان تصف مادة بخاصة معينة الا اذا كان ثمت مادة أخرى لها صفة مناقضة ، وينتج من هذا أنه لايمكن ان يكون الوجود مركبا من مادة تميزها صفات ، واذن فلم يتردد انكسمندر فى القول بان الاشياء جميعا ، انما تفرعت عن مادة لاتحدها حدود ، وليس لها صفات ، اللهم الا صفة واحدة هى الثبات وعدم التحول : أى الخلود . ولعلها فى عنصرها وسط بين الهواء والماء . هكذا يغريك انكسمندر بتصديق منطقه ، ولكن مالبث الانسان ان وجد فى هذا المنطق الخلاب مغمزا وثغرة . اذ كيف تنشأ هذه الفروق الشاسعة بين صفات الأشياء ، اذا كانت كلها مشتقة من مادة واحدة لاصفة لها ، فبدهى ان تجىء أجزاء هذه المادة الأولى على نسقها وغرارها ؛ فلا تكون للاشياء الجزئية صفات كذلك ، واذن فليستأنف العقل بحثه عن ضالته

هنا نهض انكسمينس فخطا بالعقل خطوة ثالثة: اذا كانت مادة طاليس لم تصادف من العقل اطمئنانا ، لأنها ليست من الشمول بحيث تسع الكون بأسره ، واذا كانت مادة أنكسمندر قد أصابها الرفض لأنها تخلو من الصفات التى تدرك فى أجزائها ، فما يمنع انكسمينس أن يقع اختياره على مادة ثالثة ، فيها الشمول الذى ينقص الماء وفيها الصفات التى تعوز مادة انكسمندر : الا وهو الهواء ، فهو ذو صفات معروفة لاتنكر ، وهو فى نفس الوقت يشيع فى كل أنحاء الوجود ، يغلف الارض ويملأ جوانب السماء ، بل ويتغلغل فى الاشياء والأحياء مهما دقت الابدان والاجسام . أليست الحياة أنفاسا من الهواء تتردد فى الصدر شهيقا وزفيرا ؟ أليس الهواء يملأ الفضاء ويغمر الكائنات ويستحيل الى صور متنوعة ، وهو فوق ذلك أسبق من الماء الى الوجود ، فالهواء إذن هو الجوهر الأول الذى صدرت عنه جميع الكائنات ، يتكاثف حينا فيكون هذا الشىء ، ويتخلخل حينا فيكون شيئا آخر .

فأنت ترى من هذا أن الفلسفة فى أول صورها كانت لا تعدو فى بحثها ظواهر الأشياء وأجسامها المادية ، وكيف تريدها على أن تجاوز الظواهر المادية وهى لم تعترف بما وراء المادة من حياة وفكر ؟ فالحياة عندها أنفاس مادية لا أكثر ولا أقل

وكان طبيعيا ألا يجمد العقل عند هذه المرحلة من التفكير والنظر ، فجاوزها فى البحث عن جوهر الوجود وكنهه ، لا يأبه كثيرا بالصور المادية التى يتخذها ذلك الجوهر لبوسا مختلفة يظهر فيها للحواس وبعبارة أخرى فقد خلفت الفلسفة وراءها مرحلة طبيعية ، لم تكن تنشد فيها الا مادة ولم تعترف لغير المادة بوجود ، واستقبلت مرحلة ميتافيزيقية ، تعترف فيها بوجود شىء وراء المادة يدرك بالفكر المجرد دون الحواس . وإن كانت الشقة بعيدة بين هذين النقيضين — بين تلك الفلسفة الطبيعية وهذه الفلسفة الميتافيزيقية — الا أن هذه قد اعتمدت على أساس تلك ، لأنه اذا كان الخلاف بين الاشياء ، هو فرق ما بين التكاثف والتخلخل ، اذن فلا يفضل مخلوق مخلوقا آخر الا من حيث الكمية المادية فحسب ، وبعبارة ثانية ، فالذى يفرق بين الكائنات اختلاف الحكم ، أى فى العدد ، وإذن فكنه الوجود وحقيقته هو الاعداد ، فالكون سلسلة من أعداد تتجمع حينا وتتفرق حينا . ومن هنا نشأت المدرسة الرياضية الجديدة التى كان زعيمها فيثاغورس ، فقد ذهبت طائفة الفيثاغوريين الى اعتبار الأعداد جوهر الكون وأساسه . ومن الواحد خرجت جميع الاعداد ، وان تكن مختلفة متباينة ، الا أنها لاشك تنطوى جميعا تحت ذلك الفرد . وقد يستوقفك هذا التباين بين الاشياء ، فتسأل كيف يمكن ان تجتمع هذه النقائض كلها تحت أصل واحد ، وأن يكون هذا الاصل هو الواحد الرياضى . كيف يكون هذا الحيوان وذلك الماء وهذه الشمس وما الى ذلك أشباها تلتقى عند جوهر واحد ؟ ولكن هذا الشتيت المتضارب فى الظاهر انما هو أجزاء هذه الوحدة التى احدثك عنها ، أو يحدثك عنها الفيثاغوريون ، كما يكون أصبعك وعينك وشعر رأسك وسائر أجزاء بدنك — وهى متنافرة الصورة لايشبه بعضها بعضا — وحدة لاشك فى تماسكها واتحاد أجزائها ، وتكون فى النهاية واحدا

وأحب أن أضع أصبعك على هذا الضرب الجديد من التفكير الفلسفى ، لتدرك تطور الفكر مرحلة بعد مرحلة . فالفيثاغوريون لم يعودوا يفكرون فى أجسام مادية ، هم لا ينشدون مادة الاشياء الاولية ، كما فعل طاليس وانكسمندر وانكسمينس ، ولكنهم كما ترى يضربون فى الاعماق ويجاوزون هذا الغشاء المادى ليصلوا بتفكيرهم الى جوهر الكون

ولكن مذهب الفيثاغوريين بدوره لم يسلم من النقد، فهو يبالغ في الاكبار من شأن الواحد، ويصر على ان تكون الاعداد جميعا — أي الاشياء — أجزاء من ذلك الواحد يحتويها ويشملها كما يحتوى الكل أجزاءه، ولكن اذا كان الفرق بين الاصل وما يتفرع عنه فرقا عدديا فقط، فبدهي أن يكون الاصل وفرعه في منزلة كيفية واحدة، ولا يكون أمامنا مبرر لتفضيل هذا على ذاك الا بالفرق في الحكم، أعنى أنه يجب أن يكون التعدد أصلا وجوهرا تفرع عنه الواحد. إذن لابد للعقل أن يتناول هذا المذهب بالتهذيب والتعديل حتى يتخلص مما يشوبه من تناقض.

نهض اكزنوفنس بشيء من هذا التهذيب المنشود، فليس واحد الفيثاغوريين عنده واحدا حسابيا، بل هو الكون بأسره، هو الله الذى لا يعتريه تغيير ولا تبديل ولا فناء، هذا الكون بل هذا الاله لا يتعدد، وهو لا يصلك عن طريق الحواس، فلا تراه عيناك، ولا تسمعه أذناك، انما هو حقيقة مجردة تصل اليك عن طريق الفكر المحض.

ثم تبعه بارمنيدس فسار في طريق سلفه اكزنوفنس، وجاوز حده، فلم يكتف بأن يكون هذا الواحد المجرد — أى الله — مصدراً لجميع الكائنات، بل لم يعترف لهذه الكائنات نفسها بوجود الموجود، في الوجود شيء واحد: هو الله، فليس ثمت مصدر وصادر، ليس ثمت خالق ومخلوق، انما الجميع شيء واحد، هو الله هذا الكائن المطلق، هو وحده الحقيقة ولا حقيقة سواه، فكل ما ليس إلهاً لا حقيقة له في الوجود. وبدهي أنه لا يتعدد ولا تحده حدود من مكان، ولا يمكن أن يكون خارج نطاقه عقل مفكر بحيث يتخذ من هذا الكائن موضوعا للتفكير. ومعنى هذا أنه ينكر على الانسان أن يظن نفسه حقيقة موجودة مفكرة، كلا، بل هناك شيء واحد يفكر ويكون موضوعا للتفكير في وقت معا. فهو لانهائي، ولهذا لا يجوز عقلا أن يكون هناك من الفراغ ما يشغله شيء آخر أو إله آخر. وهكذا كانت فلسفة بارمنيدس هذه ضربة قاتلة قضت على الآلهة المتعددة التى كان يعبدها معاصروه

لا حقيقة اذن لهذه الاشياء المتباينة التى يخيل الينا أنها تملأ الكون، ليس ثمت انسان ولا حيوان ولا نبات ولا أرض ولا سماء، كل هذه أوهام خلقتها الحواس خلقا من عدم، وأنشأتها انشاء باطلا لا يرتكز على صورة خارجية، وهو لا يعلل لنا هذا الخداع الحسى الذى يصيب أفراد البشر جميعا، ولكنه يأسف لهذا النقص الذى يصور لنا الباطل حقا

وقد أيد هذا المذهب بعد بارمنيدس فيلسوفان، لم ينتجا جديدا، ولكنهما اكتفيا بالدفاع والتأييد، وهما مليسس وزينو، ولكن العقل الذى لا يقنع بقليل ولا كثير، أبى هذه المرة أيضا أن يستكين لهذا الرأى زمنا طويلا، اذ بدا له في منطقة الضعف والتناقض

لقد علمت الآن أن الفلسفة قد اعترفت بوجود واحد، وكل ما عداه وهم باطل اختلقته الحواس اختلاقا. وليت الدفعة قد وقفت عند هذا الحد، بل جاء هرقليطس، فسار في هذا الاتجاه شوطا بعيدا، فأنكر وجود حتى هذا الموجود الواحد! وله في هذا الانكار منطق، الا يكن مقنعا، فهو لا يخلو من ظرف كثير قال إن هذا الكون وما يشتمل عليه من كائنات، في حركة متصلة دائمة، لا تنقطع ولا يصيبها الجمود لحظة واحدة، هو كسيل يهوى من قمة الجبل الى هاوية السفح، كله تغير وحركة وانتقال، فكلما فتحت ناظريك على هذا المجرى رأيت صورة لم ترها من قبل ولن تراها بعد، لان الماء لا ينتظرك حتى ترسل اليه البصر مرة ثانية، وإذن ففي كل لحظة ينشأ مجرى جديد. ولعلك تدرك خطورة هذا الرأى، فلو صح لذهب علمي وعلمك هباء منثورا. ان كل ما نعلم خيال منحول ووهم ملفق، لانه اذا كان العالم الخارجي لا يستقر على حال ثابتة، فكيف تستطيع أن تصدر على شيء منه حكما من الأحكام، انك ان علمت شيئا عن الكون فما ذاك الا في لحظة بعينها، ولا يجوز أن يكون ذلك العلم صحيحا على الكون في كل آن. فان الكون سينقلب كونا آخر قبل أن ينطلق لسانك بالحكم، كلا، بل قبل أن تدور في رأسك الخلجة الفكرية. انك ترى ملايين الاكوان المتعاقبة، كون يجيء في أثر كون، وإذن فمن الشطط أن تقرر حكما عن شيء من الاشياء، لأنه لا يستقر على صفة ولا ولا يبقى على حال. الامر في ذلك كفلم سينمائي تمر صوره مراسريعا متداركا، فلا تلبث أن تقول إنى أرى الآن صورة كذا حتى تفر مسرعة لتخلى المكان لما بعدها، وإذن فليس في الوجود موجود ثابت كما زعم الفلاسفة من قبل

هنا نشأت طائفة جديدة — أعنى جماعة الذريين — وجاهروا برأى جديد يلائم هذا الموقف الذى خلفه هرقليطس ، هم يقررون معه أن ليس هناك موجود ثابت اذا نظرنا الى الكون من وجهة الشكل والصورة ، ولكن الثبات والخلود فى كمية المادة التى يغص بها الكون ، فثمت عدد لايحده الحصر من العوالم ، تتكون جميعها من ذرات متشابهة ، ولكنها تكون بعد تركيبها كائنات متباينة ، كما تتألف الكتب المختلفة من حروف هجائية بعينها ، ومع ذلك فليست هى بالمتشابهة . هذه الذرات لا تفتأ تجتمع فتكون هذا الجسم أو ذاك ، ثم تنحل وتأتلف فى أسلوب جديد فتحدث كائنا جديدا على هذا الاساس يمكنك أن تدرك معنى التغير والحدوث فى الصورة والثبات والخلود فى المادة . وبناء على هذا يكون كل شىء فى الوجود مؤلفا من ذرات مادية ، حتى الروح الذى يدب فى الأحياء . فهو عندهم مكون من ذرات دقيقة غاية الدقة ، مستديرة أو قريبة من المستديرة . وليست عمليـــة التنفس الا اكتسابا لذرات جديدة من نوعها تسبح فى الفضاء . ولما كانت هذه الذرات منبثة فى أنحاء الكون ، فليس من شك فى أن الحياة تدب فى الكائنات جميعا

بدأت الفلسفة إذن بالبحث عن المادة الأولى التى تتألف منها الأشياء جميعا ، ثم ادركت أن للوجود جوهراً وراء المادة ، فالتمسه الفيثاغوريون فى الواحد الحسابى ، ثم التمسه من جاء بعد الفيثاغوريين من فلاسفة أيونيا (جنوبى ايطاليا) فى الاله الذى خلق الكائنات ، ثم انكرت الكائنات وبقى الله وحده موجوداً لا وجود لسواه ، ثم حام الشك حول ثبات الكون على صورة واحدة ، وأخيرا قرر الذريون أن الكون متغير فى صورته ، خالد فى مادته . . .

تطور سريع فى الفكر كما ترى ، أسلم العقل الى حال من الارتياب والشك ، أرجو أن أحدثك عنها فى فصل تال .

زكى نجيب محمود

معهـــد الطفيليات

للدكتور محمد عوض محمد

. . . سار بى (الأستاذ) سيرا حثيثا ، ليطلعنى على ما اشتملت عليه تلك الجامعة الهائلة من دور ومن فصول ، ومن مدارس ومعاهد ، فلم نزل نتنقل من بناء شامخ إلى قصر مشيد ، إلى أفنية فسيحة ، إلى مغان ذات طباق بعضها فوق بعض . . .

ثم وقف بى امام دار فخمة ضخمة ذات صروح وأبراج ، ولها باب عظيم ذو عمد من الرخام وسلالم من المرمر الأملس . وقد انفتح المصراعان ، وبدا لنا من ورائهما دهليز كبير تحف به عمد رفيعة موشاة بالذهب والأحجار الكريمة ؛ ومن فوقها سقف مزين بأبدع النقوش وأبهى الالوان

فقال صاحبى : « الآن أريك أجل شىء فى هذه الجامعة الجليلة ، إن هذا البناء العظيم الذى تراه أمامك هو « معهد الطفيليات » . قد عنيت الجامعة بتشييده واعداده ، ولم تال جهداً ولا مالا فى زخرفته وتأثيثه ، ليكون منه مرتع خصيب للطفيليات : تمرح فيه ماشاء لها المرح ، وتنعم فيه بكل ما تشتهيه نفوسها التى لا يرضيها القليل ، ولا تقنع إلا بالغالى النفيس

« وسأمضى بك الآن إلى المتحف العظيم ، الذى حشدنا فيه ما استطعنا حشده من طفيليات هذه الأرض ؛ وما أحسب أن جامعة من الجامعات متحفاً كهذا المتحف ، شاملا لما اشتمل عليه من طفيليات عزيزة نادرة به ، حقيقة أننا لم نستطع أن نجمع هنا كل مافى الارض من هذه الكائنات ! ان هذا مرام بعيد . ومن ذا الذى يستطيع للطفيليات عدا . فضلا عن جمعها . وإيوائها ، وتربيتها ، وتغذيتها ، وتأديبها ؟ لكننا نستطيع أن نفتخر — بحمد الله — أن ليس فى القارات كلها جامعة بها من الطفيليات ما بجامعتنا هذه

« فلنمش الآن بين هذه الصناديق الزجاجية . وليكن سيرنا غاية فى الهدوء والتؤدة . فأن هذه الطفيليات رقيقة المزاج جدا . فلا تكاد خطرات النسيم تجرح خديها فحسب ، بل تقتلها قتلا . وهى علينا جد عزيزة . ويجب أن نحرص عليها غاية الحرص ، إمش إذن برفق لكيلا يسمع لنعليك صوت ، ولكيلا ترتج لوقع أقدامنا هذه

المنازل البديعة التي آوت اليها الطفيليات .

« والآن فلأشرح ما أغلق عليك من أمر هذه الكائنات ! إنك ياصديق من الأدباء . ولديكم في الأدب طائفة أظنك تعلم من أمرها ما أعلم — من كل كوينب أو شويعر . عاجز كل العجز عن أن يخرج من صدره أو قلبه أو رأسه رأيا أو خاطرة أو فكرة . يفتش في نفسه فيلقيها خلاء بلقعا قفراً . فيعمد الى دواوين القدماء وكتبهم ، يستخرج منها القصيدة أو الرسالة ، ولا يزال بها يحاكيها ويقلدها ، ويحذف لفظا ويضيف لفظا ، حتى يتم له مسخها وتشويهها ثم يلصق في آخرها اسمه الكريم فاذا به قد أصبح ذا شأن وخطر ، واذا النوادي تتحدث بأمره . والصحف تنوه باسمه ، والمحافل تتلقاه بالإكرام والترحيب ، واذا صورته الفخمة تطالعك من صدر كل صحيفة سيارة وغير سيارة لتنبئك ، وتنبيء الجاهلين أن قد نبغ في هذا الزمان الأخير أديب خطير ، وشاعر كبير !

« ونحن يا صديقي في عصر قد علا فيه كعب هؤلاء . وعظمت دولتهم ، وقويت شوكتهم . ولا تحسب أنهم وقف عليكم أهل مصر بل ان لدينا منهم في مملكتنا هذه خلقا كثيرا . وفي وسعك أن تقسمهم الى قسمين عظيمين : الأول طائفة الطفيليات القومية أو الوطنية وهم الذين يعيشون متطفلين على قومهم العرب مثلا وأمتهم العربية . غذاؤهم وحياتهم مما يمتصونه أو يلعونه أو يمسخونه من شعر القدماء ورسائلهم . ناهيك أن في أدبكم العربي أسفارا لاتزال مودعة في خزائن مظلمة في دور الكتب ؛ مخطوطة لايصل اليها الا الباحث الجليد . . . وما أولع الطفيليين بالبحث والتنقيب ، وما أشد صبرهم وجلدهم ! فهم يجدون في هذه الأسفار المنسية ضالتهم ، ويصيبون منها الغذاء الذي يكسبهم الشهرة والعظمة . ومنهم من لايكلف نفسه عناء البحث في خزائن الكتب ، بل يعمد الى الشائع المتداول من كتب القدماء والمحدثين ، فلا يزال بها يحولها ويحورها ، ويربعها ويدورها ، حتى يرى فيها الطغام شيئا مخترعا ، وأدبا مبتدعا . . . ولعل هذا الطراز أبرع من الأول وأقدر ، لانه يعتمد على مقدرته الهائلة في المسخ والتشويه ، بينما الأول يعتمد — قبل كل شيء — على بحثه وتنقيبه عن المجهول من الكتب ، والخفي المستور من كنوز الأدب .

« تلك إذن طائفة الطفيليات القومية . تعتمد كما ترى على تراث قومها . أما الطائفة الثانية فهي جماعة الطفيليات الغربية ؛ نعتها بهذا الاسم لا لأنها جاءت من الغرب . بل لأنها تتغذى من الثمار الغربية . وتعيش على أجساد الكتاب من أهل الغرب والكاتبات ، الأحياء منهم والأموات .

« وهذه الطائفة قد استفحل أمرها ، واشتد مراسها ، منذ انتشر في بلادكم تعليم اللغات الغربية ، فوجدت أمامها أودية خصبة ومروجا ممرعة ، لايكاد الطرف أن يدرك مداها . فأقبلت عليها في شره لا يعرف شبعا ، ونهم لايعرف حدا . إذ رأت أن المجد الأدبي قد دنت قطوفه ، وسهل تناوله . . . فجعلت تجني من ثمار الغرب ماشاءت وشاء لها الجشع ؛ ثم مسخته قليلا أو كثيرا ، ثم جلته للعيون الشرقية ، على انه من ثمارها ومن نتاج روحها . فأكبر الناس تلك الثمار ، وسبحوا بحمد تلك الطائفة . ورفعوها على الاعناق ، وبوءوها مقاعد السيادة في الآداب أو في العلوم . . . »

عند ذلك قاطعت الأستاذ ، وقد تملكني الضجر ، وقلت :

« أعن هؤلاء تريد أن تحدثني ؟ وهل هؤلاء هم الذين أودعتموهم في معهدكم هذا ؟ اللهم إني لفي غنى عن رؤية أمثال هؤلاء ، وماجئت سائحا في بلادكم العظيمة ، لكي تطلعني على تلك المناظر التي طالما أقذت عيني وأحرجت صدري ! »

قال : « لاتخف ! فهيهات أن نجد مكانا في معهدنا هذا — على ضخامته وسعته لكل تلك الطوائف ! كلا ياصديقي ! وماذكرت لك أمر هؤلاء الا لأنك ممن يعنون بالأدب . ولأني أريد أن تفهم عني أمر الطفيليات التي حشدناها هنا ! فأردت تقريب الأمر الى ذهنك متنقلا بك مما تعرف إلى مالا تعرف !

« وخلاصة الحديث ياصديقي ، ان الطفيليات هذه هي كائنات — أجل وإني لمضطر لأن أدعوها كائنات — لاتستطيع أن تحيا وان تعيش من نفسها ومن جهودها . بل لابد لها من كائن آخر ، تستمد حياتها من حياته ، وكثيرا ماتكون حياتها سببا في فنائه . وهي على كل حال لابد لها من أن تضعف الجسم الذي يمدها بالحياة حتى توروده موارد الدمار . . . »

« هذه الكائنات لاتكد ولاتكدح في طلب الرزق ، بل تدع السعي والطلب إلى غيرها ، وليس لها أسنان تمضغ ، أومعدة تهضم ، أو أجهزة تحيل الطعام الخشن والشراب الى غذاء وحياة ، بل تبقى كامنة في الاجسام الحية ، ثم تنتظر حتى تكد هذه وتعمل ، وتجمع الرزق من نواح شتى ، وحتى تتناول طعامه وتهضمه

وتمثله ، وتحيل الى تلك العناصر التى تموت فيها القوة والحياة ، عندئذ تبادر الطفيليات ، فتمتص منها الحياة والغذاء ، من غير جهد ولا عناء .. هذه الطفيليات لا تحسن عملا ، ولا تجيد صنع شىء ؛ اللهم الا شيئا واحداً ، هو : الالتهام »

« تأمل قليلا فى هذا الكائن البديع ، القرمزى اللون ! إنه لا يعيش إلا فى الشرايين ، لا يحلو له أن يتناول الا الدم الطاهر الزكى : يستقيه سائغا شهيا حين يقذفه القلب الى كل شريان .. وهذه صورة رجل قد حلت بجسده هذه الكائنات ! ان وجهه الشاحب قد علته صفرة الموت . وعينيه الغائرتين لا تجدان كفايتهما من الدم المغذى . وعلى عظامه الناتئة جلد رقيق ، يوشك أن يكون شفافا .. إن حياة مثل هذا لن تطول . فان هذا الضرب من الطفيليات من أقتلها وأفتكها بمن يعيش فى جسده

* * *

« انتقل بنا الآن إلى هذا الكائن الأبيض المنتفخ ! إن خطبه أيسر من خطب الاول . ودأبه أن يعيش وسط الدسم والشحم . فهو لا يسكن من الجسم الا حيث الدهن متراكم متكدس . فاذا رأيت من بنى آدم من أضخمته النعمة ، وأشحمه الغنى ، فأن هذا الشقى لن يلبث طويلا حتى تتألب عليه هذه الكائنات الشرهة ، ترتع فى نعمته ، وتمرح فى شحمه ودهنه ، وما تزال مكبة عليه تمتص منه وتلتهم ، حتى تذره نحيلا هزيلا . قد وهى عظمه ، ورق جسمه حتى لم تبق منه الا بقية ضئيلة ، لا تلبث أن تذهب ، فيهلك الجسم وتهلك معه تلك الطفيليات .

« وأظنك تشاطرنى الرأى ان ليس بمستغرب ان تتجمع الطفيليات على مثل هذا المخلوق السمين ، حيث المرعى الخصيب ، والخير الوفير ، والنعمة السابغة ...

ولكن ما بال هذه الطائفة — التى تراها عن يمينك — قد تألبت على غير ذى دسم ، وتجمعت على غير ذى نعمة ، ولا يحلو لها ان تمتص الحياة والرخاء الا من كل بائس شقى ، قد عضه الفقر من جانب . والجوع من جانب ، ممن يقضى حياته فى كد وكدح ، من أجل اليسير من الزاد ، والزهيد من القوت ، لا يكاد يصل اليه إلا باهراق عرق الجبين ، وبذل الجهد الجهيد ، وايراد الروح موارد العذاب : ثم يغدو المسكين واذا قوته ودمه يذهبان غذاء سائغا شهيا لهذه الطوائف النهمة من الديدان الملتوية !.

« ومن عجب أن ليس فى الطفيليات كلها ما هو أشد نهما وأكثر شراهة من هذه الكائنات ، التى تعيش وسط الفقر المدقع ، فتراها غنية وسط الفاقة ، سعيدة وسط الشقاء ، مدلة بنفسها عزا وكبرا برغم ما يحيط بها من الذل والضعة ، وهى الى هذا كله قصيرة النظر ، لا تكاد ان ترى شيئا ، لأنها لو استطاعت ان تبصر لعلمت ان ليس فى عيشها ذاك ما يبعث الكبر والغرور ، ولأدركت حقارة شأنها بين الكائنات .

* * *

والآن أنتقل بك الى هذه المجموعة الفريدة ؛ إنها ستبدو لك لأول نظرة كأنها ديدان لما بها من الالتواء والانحناء ؛ لكنها فى الحق ليست بديدان ، بل حشرات طفيلية جميلة الصورة ، حسنة الهندام ؛ أما هذا الالتواء والانحناء ، فراجع الى طبع غريب مغروس فى نفوسها ؛ ذلك أنها مولعة أبدا بالركوع حينا والسجود حينا ؛ مغرمة بتمريغ الجبين فى مواطىء النعال . فهى تبدى للجسم الذى تمتص خيره وبره عبودية وخضوعا . وتتملقه تملقا بديعا . وما تنفك تهتف باسمه . وتسبح بحمده : ولا يحلو لها الزاد الذى تمتصه وتغتذى منه ، ما لم يصحبه كل هذا الركوع والسجود ، والملق والخنوع ... وهـــذه الحشرات لا تعيش إلا فى الجسم القوى ذى البأس الشديد ، والعزة والجبروت . ولقد يحلو لهذا الجسم أن يؤدى هذه الحشرات ، وأن تمتص من خيره ومن رحيقه ، لأنه يعجبه منها هذا الخضوع الظريف ، وهذا الملق الساحر . وهذا الركوع الدائم والسجود . ولا يرى على نفسه بعد ذلك بأسا فى أن تأكل هذه الحشرات من مخه ومن دمه ، ومن لحمه ومن عظمه . لأنه قوى مدل بقوته ، بئيس مفاخر بأسه ، يظن أن كنوز قوته لن تنفد مهما كبر ذلك الجيش الجرار من الحشرات . فتراه يستكثر منها ويستزيد ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

« ومن عجب أن هذه الحشرات قد تحل بها حشرات أخرى أحقر منها ، لكى تعبدها وتتزلف اليها ، وتمتص خيرها ؛ وهذه أيضا على حقارتها تنمو حولها طائفة أخرى أحقر منها ، وهلم جرا ، ولن تستطيع أن ترى هذا كله بالعين العادية ، بل لا بد لك من التحديق فى المجهر : أنظر ها هنا ! وأمعن فى التحديق حتى تعتاد عينك رؤية هذا العالم الطفيلى المدهش ! أرأيت كيف تتابعت هذه الكائنات تتابعاً مطردا : من الكائن الاكبر إلى الأصغر فالأصغر

حتى تبلغ إلى الحقير التافه الذى لا تكاد تراه حتى بالمجهر !

« وبرغم ما تراه فى هـذا الجيش العرمرم من مظاهر القوة والنشاط ، والحركة الدائمة ، فان هذا مظهر خداع . ولا بد أن يدركه الفناء فى لمحة الطرف . ولا بد للسكين من يوم تدول فيه دولته وتذهب ريحه ، وينظر فاذا قوته قد فنيت وبأسه قد زال واذا هو صريع وسط تلك الجيوش الجرارة من الطفيليات التى أفنته وأفناها ، وأهلكته وأهلكها . »

* * *

والتفت (الاستاذ) إلى ، فرأى الدم يتصاعد الى وجهى ، فقال : « أحسبك قد نال منك التعب ، ولاجرم فأن عالم الطفيليات عالم عظيم جسيم . ولكن لن تبرح حتى ترى هذه الحشرات السوداء التى لا تعيش الا على جثث الموتى . وتخشى الأحياء وترهبهم . ألا تراها تذكرك بأصحابك الذين يغيرون على شعر القدماء ، وأدب القدماء . ولا حياة لامثال هؤلاء الا بما يدره أولئك الموتى !

والآن تأمل هـذه الكائنات الدميمة التى تراها عن يسارك ! وقل لى هل رأيت فى حياتك أشد منها دمامة ، وأقبح منها منظرا ؟ وهى مع ذلك لا تعيش إلا حيث يوجد الحسن والبهاء ! ولا تحيا إلا على كل من رزق الوسامة والقسامة ، وضرب فى الجمال بسهم ، وحيثما رأيت الشباب الغض والحسن الباهر تر هـذه الكائنات الدنسة . قد تراكمت من حوله وتألبت عليه . . . لكن أراك قد تصاعد الدم الى وجهك ، واحمرت عيناك ، وانتفخت أوداجك ، فهل تحس ألما أو دوارا ، أو ترانى قد أتعبتك بكل هذا الشرح الطويل ؟ »

قلت : « ليس ما أحسه الآن تعبا أو ألما ، ولكنه الغيظ قد استولى على وأخذ يحرق صدرى ، ويوقد النار فى دمى ، وبودى لو تناولت عالمك هذا كله بالتحطيم والتدمير ، فلا أدع فيه دودة ولا حشرة ، قائمة أو قاعدة ، راكعة أو ساجدة ! »

قال : « من حسن الحظ أنا تركنا عصينا بالباب ، فهلم بنا لنخرج من هنا ، قبل أن يذهب بك الجهل مذاهب الطيش والنزق فان هذه الطفيليات أعز على الدهر من أن نعرضها لسخط الحمق ، الذين لايعرفون مالها من المنزلة الفريدة والمكانة العزيزة فى نظام هذا الكون الأبدى . »

ثم انطلقنا ، وصاحبى يبتسم ، وأنا أكاد أتميز من الغيظ .

محمد عوض محمد

التعاون فى التأمين على الحياة

يعمل الرجل وهو فى مقتبل الشباب ممتلئاً صحة وقوة ، ويخيل اليه ان الدهر سيظل له على الدوام مسالما ، فيسرف فى انفاق كسبه غافلا عما يكنه المستقبل فى طياته من المفاجآت . فاذا لم يعترضه مرض اوحادث يعجزه عن العمل والكسب ، فأنه قلما يسلم من الخضوع لسلطان الطبيعة البشرية وسحرها ، تجتذب حواسه وتأسر لبه حتى تسوقه طوعا الى شريكة فى الحياة ؛ يرزقه الله منها الأبناء ، فيشعر فى اعماق قلبه بذلك الشعور الذى لا يدرك كنهه سوى الزوج المخلص والوالد الرحيم ، وهذا الشعور ينطوى على رغبة صادقة فى ان يهيء لهم اسباب السعادة فى ظل حياته ، ويعد الوسائل التى تسهل لهم سبل العيش بعد مماته .

ولا تقف مسئولية الرجل العائلية عند حد الزوج والابناء ، بل قد تتناول ابويه والقاصرين من أخوته المحتاجين لمساعدته . فأن حق عليه ان يكفل زوجه وابناءه بعين رعايته ، فان من واجبه الشرعى والاجتماعى ان يشمل أبويه بعطفه وحنانه . فان فعل فانما يسدد دينا عليه . فقد ضحيا من أجله راحتيهما ومالهما فى سبيل تربيته وتعليمه حتى بلغا به طريق الرزق — وقد يكونان ذهبا فى التضحية الى حد نفاد مواردهما — فحق لهما ان يجنيا ثمار تضحيتهما بمساعدته لهما فى شيخوختهما .

وخلاصة القول ان الرجل فى هذه الحياة مسئول عن سعادة أبويه وأخوته ، كما انه مسئول عن هناء زوجه وابنائه . فأن كانت عائلته تعيش من كده وجهاده ، فهو بمثابة رأس مال لها . يقف رأس المال العائلى هذا عن الانتاج اذا انتاب الرجل العامل المرض او اعترضه العطل ، ويفقد مقدرته الانتاجية اذا أقعده العجز أو الشيخوخة عن العمل ، ويفنى اذا وافاه الاجل ؛ فالرجل المتزن العاقل هو الذى يتبصر فى عواقب الامور ، ويتسلح للطوارىء ، فيعمل عـلى تهيئة أسباب السعادة لعائلته فى مختلف أطوار الحياة ، بأن يستجمع فى شبابه من المال ما ينعم به فى شيخوخته ، وما يتركه لذويه يستعينون به على صروف الدهر بعـد وفاته . وقد يبتدىء فعلا بتدبير المال عن طريق الادخار . فأن عاجلته المنية قبل أن يكون لعائلته المال الذى يعيشون منه فانه يتركهم عرضة للتسول

وقد يدفعهم الاملاق الى اقتراف الرذائل وارتكاب الجرائم .

تلك هى النتائج الاجتماعية التى يجب أن يتوقعها الرجل الذى يعيش من كسبه ، ولايدخر لشيخوخته ولأهله من بعده ما يقيهم شر الحاجة وذل السؤال . ومما يؤسف عليه أن أولئك الذين تلهيهم سعة الحاضر عن مفاجآت المستقبل كثيرون فى بلادنا ، وضحاياهم عديدون ، نصادفهم كل يوم فلا يثيرون فى نفوسنا غير الاشفاق والرثاء .

قال المرحوم احمد بك لطفى أحد ابطال التعاون « هل فى مقدور الجمعيات الخيرية مساعدة كل هؤلاء ، والعناية بتربية أولادهم والصرف على بيوتهم ؟ وهل يمكن أن يعيشوا من مد يدهم للناس واراقة ماء وجوههم للغير ؟ ليست هذه الاحوال خاصة بمصر ، فانها وجدت خلال القرون الاخيرة فى غيرها من البلاد الغربية ، ولم ينجح فيها استعمال الاحسان والصدقة ، ذلك لأن الاحسان وإن كان من الفروض الدينية ، الا أنه بحسب القوانين الوضعية ليس الزاميا ، بل هو متروك لمروءة الانسان ، فلا عطاء بغير مقابل ، ولا وسيلة لارغام الناس على القيام به . لذلك لجأ الناس هناك لنوع من الاحسان يتحقق فيه الالزام باجلى معانيه ، وهو تبادل الاحسان بين الفرد والجماعة بنظام مخصوص يجعله محققا ، ويسهل تنفيذه بغير اثقال على النفس ولا تضحية كبيرة . وهذا العلاج هو مايسمى بالتعاون »

يقوم التعاون على مبدأ تبادل المنفعة بين الفرد والجماعة . فاذا ما اتحد عدد كبير من أرباب الاسر الذين يعيشون من كسبهم على تأليف جمعية تعاونية على أساس أن يؤدى كل واحد من كسبه اشتراكا دوريا لصندوق الجمعية ، وأن يستثمر جزء كبير من الاموال المتجمعة فى أوراق مالية أو عقار على أن يصرف للعضو عند مرضه أو عطله ما يعالج به نفسه ويقوم أوده مدة عطلته من العمل ، ويصرف لورثة من يتوفاه الله منهم مال أو معاش يستعينون به على الحياة ، واذا أقعدته الشيخوخة يصرف له مبلغ معلوم من المال أو يخصص له مدى الحياة معاش ، أمكن تبادل المساعدة والمنفعة بغير اضرار بالفرد ولا بالجماعة .

*
* *

ولتثبيت نظرية التعاون فى الاذهان نضرب المثل الآتى :

اتفق جماعة من الافراد عددهم خمسمائة من أعمار مختلفة تتراوح بين الثلاثين والخمسين سنة على تشكيل جمعية تعاونية ، على أساس أن تدفع الجمعية خمسمائة جنيه لورثة العضو منهم اذا توفى قبل بلوغه سن الستين أو عند بلوغه هذه السن اذا ظل حيا ، مقابل أن يؤدى العضو للجمعية اشتراكا شهريا يختلف باختلاف سنه عند التعاقد ، وينقطع دفع الاشتراك بالوفاة أو عند بلوغ سن الستين . ولكى يتيسر للجمعية القيام بتعهداتها يجب أن تكون الاشتراكات التى يدفعها الاعضاء مبنية على أساس على يراعى فيه احتمال الوفاة واحتمال بلوغ السن المعينة ، وعلى هذا الاساس يصح أن تكون الاشتراكات على النحو الآتى :

السن عند التعاقد	الاشتراك الشهرى الذى يدفعه العضو بالقروش
٣٠	١١٢
٣١	١١٦
٣٢	١٢١
٣٣	١٢٧
٣٤	١٣٣
٣٥	١٣٩
٣٦	١٤٦
٣٧	١٥٣
٣٨	١٦٢
٣٩	١٧٠
٤٠	١٨٠
٤١	١٩١
٤٢	٢٠٣
٤٣	٢١٧
٤٤	٢٣٢
٤٥	٢٥٠
٤٦	٢٦٩
٤٧	٢٩٢
٤٨	٣١٩
٤٩	٢٥٠
٥٠	٢٨٧

ويجب ان يكشف طبيا على كل من يريد الالتحاق بالجمعية على الا يقبل غير الاصحاء لكى لا تتعرض الجمعية لخطر عاجل قبل تكوين اموال كافية لمواجهة الطوارىء ، فان متوسط معدل الوفيات بين فئات السن من ٣٠ الى ٥٠ هو ٦٠ فى المائة ، او بمعنى

آخر ان عدد الوفيات التى يحتمل حصولها خلال السنة الاولى بين افراد الجماعة المذكورة المكونة من خمسمائة عضو هو ثلاثة . فعلى اساس هذا الحساب يمكننا ان نقدر التعويضات التى يحتمل دفعها فى السنة الأولى بمبلغ ١٥٠٠ جنيه ، على اعتبار أن المبلغ الذى يدفع لورثة العضو المتوفى هو خمسمائة جنيه

ويجب ان الجمعية لا تحتفظ فى صندوقها او فى البنك الذى تعامله مما تحصله من الاقساط فى اول كل شهر الا بقدر مايلزم لتغطية المصروفات ومواجهة التعويضات المحتمل دفعها خلال الشهر ، بل تقتنى به أوراقا مالية سهلة التداول ، فأن المبلغ الذى يحتمل تحصيله فى السنة الاولى من الاقساط وفوائد استثمارها ، يقرب من ٨٥٠٠ جنيه . وقد خرجنا بهذه النتيجة على اساس حساب الاحتمال ، بعد ان استبعدنا طبعا الاقساط التى حرمت منها الجمعية من المتوفين اثناء المدة التى تجرى بين الوفاة وآخر السنة ، وكذلك فائدة الاستثمار التى كانت تعود على الجمعية لولا دفع التعويضات والمصاريف الادارية اثناء السنة ..

اما النفقات الادارية ، فأن جمعية تعاونية مكونة من خمسمائة عضو كالتى ذكرت ، لا تحتاج لمسك دفاترها (بطريقة الفيش) والقيام بالاعمال الكتابية الى أكثر من كاتب واحد يمكن ان يتقاضى مرتبا سنويا ١٢٠ جنيها . اضف الى ذلك قيمة مطبوعات ونفقات نثرية ٨٠ جنيها ، فيكون المجموع ٢٠٠ جنيه بالقياس الى نفقات جمعية تعاون موظفى البريد التى تضم نحو ٤٣٠٠ عضو مع حفظ الفارق .

اردنا مما تقدم ان نثبت فى ايجاز ان دخل الجمعية من اقساط وفوائد استثمار لايفى بدفع تعويضات الوفيات وتغطية المصروفات فحسب ، بل يترك فائضا . ولاغرو فأن مبلغ الدخل فى السنة الأولى هو ٨٥٠٠ جنيه ، فى حين أن التعويضات هى ١٥٠٠ جنيه ، والمصروفات الادارية ٢٠٠ جنيه ، فيكون الفائض ٦٨٠٠ جنيه ، يحول جزء منها الى الاحتياطيات التى يجب تكوينها لاستخدامها فيما بعد فى سداد التعويضات التى تستحق الدفع عند حلول أجل العقود للباقين أحياء ، وما بقى من الفائض فى نهاية كل سنة بعد تغذية الاحتياطيات يصح توزيعه على الاعضاء ويقال له « العائد » ، الا أن أكثر الجمعيات لاتوزعه على الاعضاء الا مرة كل خمس سنوات مضافة اليه فوائد استثماره ؛

أما فى حالة الوفاة فانها تصرف لورثة المتوفى زيادة على المبلغ المؤمن به ، حصته فى العائد المتكون لحسابه حتى نهاية السنة السالفة للوفاة

وكلما تيسر للجمعية استثمار أموالها بفائدة كبيرة ، كبرت حصة العضو فى العائد . وإن السوق المصرية لهى من أخصب الميادين لتوظيف الاموال ، ولا جرم فأنه يوجد ٥٢ قرطاسا ، أى مايزيد على ثلث عدد القراطيس المتداولة فى برصتى القاهرة والاسكندرية ، تربى غلتها على ٤ ½ ٪ على أساس الفوائد والارباح الموزعة خلال ثلاث السنوات الاخيرة ، وسعر البورصة فى نهاية كل سنة ، بعد أن أجرينا عمليات التصحيح التى تلزم فى هذا المقام .

* * *

أن ماعليه حال العمال وطبقة صغار موظفى الحكومة والبنوك والمصالح الاهلية من قلة المرتب ، يجعلهم يقاسون آلاما مبرحة اذا مانزلت بهم نازلة من المرض ، أو الاصابة بحادث ، أو البطالة ، أو الشيخوخة ، أو الوفاة . وقد يصل بهم العسر الى عدم توافر نفقات العلاج أو ثمن الدواء أو تكاليف الدفن . فهم يستهدفون لاستشراء الأمراض لقصر ذات اليد . وقد يبلغ الاملاق باسرهم من بعدهم حد التسول واراقة ماء الوجه . فلدرء تلك العواقب انتشرت جمعيات التعاون للتأمين على الحياة فى الامم الراقية لتخفف عن أعضائها وأسرهم مايخبئ لهم الدهر من الويلات

فما أحوجنا الى نشر مثل هذه الجمعيات بين طبقات الموظفين والعمال وصغار التجار والزراع . ومن الميسور أن يضحى كل منا بعشرة قروش شهريا فى سبيل أن يضمن لنفسه ولعائلته الدواء ووسائل العلاج بتأسيس جمعيات تعمل على ابرام الاتفاقات ، مع طائفة من ذوى القلوب الرحيمة من الأطباء والصيادلة ومديرى المستشفيات لمعالجة الاعضاء بأتعاب معقولة ، وتقديم الدواء بأثمان معتدلة ، وقبول المرضى بالمستشفيات بأجور مخفضة ، تقوم بدفعها الجمعيات من الاشتراكات التى تحصلها من الاعضاء .

كما انه من الميسور ان يضحى الرجل منا من مرتبه الشهرى بقيمة الأشتراك الذى سبق ان اوضحناه بالجدول على سبيل المثال ، ليضمن لأولاده وذويه مالا أو معاشا ، يقتاتون به اذا ما عاجلته المنية ، حتى ولو حصلت بعد أداء القسط الأول ، وليضمن لنفسه

معاشا ينعم به فى شيخوخته لكى لايصبح حملة على غيره ، بعد ما كان فى شبابه عاملا مفيدا للمجتمع .

وواجب على الشباب المتعلم أن يبث الدعوة بين طبقات الموظفين والعمال وفقراء التجار والزراع لتشكيل الجمعيات التعاونية

وانى على استعداد لابداء النصح والارشاد عن طيب خاطر لكل هيئة تتألف لتأسيس جمعية للتعاون فى التأمين على الحياة ، لأنى ممن يدينون بمبدأ التعاون ، ويعتقدون صلاحية المنشآت التعاونية لانقاذ الطبقات العاملة الفقيرة من شتى المخاطر التى يستهدفون لها .

وليس بكاف ان يوجد فى مصر اربع جمعيات تعاونية للتأمين على الحياة ، تعمل كل واحدة منها فى دائرة ضيقة ، فلا تحتضن إلا عددا قليلا من الاعضاء . واقدمها جمعية تعاون موظفى البريد التى اسسها المرحوم يوسف سابا باشا فى سنة ١٨٩٣ ، ثم تبعتها جمعيتا تعاون الصيارفة والمساحين . وجمعية تعاون موظفى الصحة التى أسسها حديثا الدكتور شاهين باشا فى فبراير سنة ١٩٣٤ . ولقد أخذت الجمعيات الثلاث الاخيرة نظامها عن نظام جمعية البريد .

وليس هذا مجال نقد أنظمة تلك الجمعيات ، وانما نكتفى بالاشارة الى انها لاتقوم على أساس علمى صحيح فى تحديد الاقساط وتوزيع المكافآت ، بل على طريقة فطرية لاتتمثل فيها العدالة بين جميع الاعضاء . وتعرضها لخطر الافلاس ، برغم أن موازينها تبدو لغير الفنيين فى مظاهر اليسر . فأن خطر الافلاس لا يمكن أن يدرك مداه فى جمعيات التعاون فى التأمين غير الفنيين ، خصوصا وأن موازين تلك الجمعيات لاتبين القيمة الحالية لتعهداتها ازاء اعضائها . ونأمل أن تسرع هذه الجمعيات الى اصلاح نظامها على أساس القواعد العلمية الحديثة قبل فوات الأوان .

ولا يزال المجال متسعا لمن يريد أن يسجل التاريخ اسمه بين ابطال التعاون فى مصر ، فأن من يقوم بتأسيس جمعية تعاونيه فى التأمين على الحياة ، على أساس التعاليم الحديثة ، يقدم للانسانية خدمة جليلة ، ويسدى لأمته خيرا كثيرا .

طه عفيفى

عضو بعثة التأمين سابقاً

٢ - بين المعرى ودانتى

بقلم الشيخ محمود النشوى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

تحدثنا فيما سبق عن رسالة ابن القارح ، وأن أسلوبها أثار فى نفس المعرى رغبة فى الضرب على غرارها ، والاتجاه مع تيارها . بيد أن المعرى أرانا أفانين من الخيال مما يحدونا أن نقول : إن رسالة ابن القارح وإن تكن أثارت لديه فكرة نقد الشعراء ، ومحاورة الرواة والأدباء . . فلا يدور بخلدنا أنها كونت فيه روحاً ليست عنده ، أو ألهمته فكرة لم يكن هضمها من قبل . على أنها وإن ذكرته الحوار والنقد فان ثوب الخيال الذى ألقاه أبو العلاء على رسالة غفرانه يتسامى عن طوق ابن القارح وآلاف مثله . وما كان ابن القارح ليستطيع أن يتخيل تلك الرحلة العجيبة فى طبقات الجنان ، وبين دركات الجحيم .

ولدينا برهان قوى على أن المعرى لم يسلك سبيلا عبدها له ابن القارح ، وأن رسالته ما كانت غير سبب مباشر ، نبه من المعرى فكرة راسخة . ذلك البرهان هو رسالة الملائكة التى نرى فيها خيال المعرى يطوف بالجنة وبالنار يقرع أبوابهما ، ويمزح مع الخزنة والحراس والملائكة فى محاورة تستهوى اللب ، وتضحك أشد الناس عبوسا . إذ يحاور عزرائيل حين يزوره زورة الموت ، فيقول له : أمهلنى ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل . ولكن ملك الموت اذا جاء لايؤخر عمله ، فيستل روحه من بين جنبيه ، ثم يقذف به الى القبر فيلق منكرا ونكيرا . وبدلا من أن يجيب سؤالهما . يبتدرهما هو بالسؤال فيقول : كيف جاء اسماكما عربيين منصرفين وأسماء الملائكة كلها أعجمية مثل اسرافيل وجبرائيل وميكائيل ؟

فيقولان هات حجتك . . وكانى بأحدهما يهوى اليه (بالارزبة) فيتملقهما قائلا . قدكان ينبغى لكما أن تعرفا وزن ميكائيل وجبرائيل على اختلاف اللغات إذ كانا أخويكما فى الله عز وجل . فلا يزيدهما ذلك إلا غيظا . . ثم يتخيل أنه تلاقى مع (مالك) خازن النيران فيحاوره لا فى العذاب ولا فى الزبانية . ولكن فى أوزان الاسماء وجموعها فيقول له : أخبرنى - رحمك الله - ما واحد الزبانية ؟

فيعبس مالك لما يسمع ويكفهر . ثم يسائله عن (غسلين) قائلا أهو مصدر أم واحد أم جمع ؟ . ويحاوره فى (جهنم) سائلا : هل النون فى جهنم زائدة ؟ فيجيبه مالك بقوله : ما أجهلك وأقل تمييزك ؟ ما جلست هنا للتصريف ولكن جلست لعقاب الكفرة والمشركين والقانطين . ثم يذهب فى جماعة من الادباء الى رضوان خازن الجنان فيناديه بعضهم قائلا . (يارضو) بالترخيم . فيقول لهم . ما حاجتكم؟ فيقول بعضهم : نسألك أن تكون واسطتنا لدخول الجنة فانهم لا يستغنون عن مثلنا : فقبيح بالعبد أن ينال هذه النعم وهو اذا سبح الله لحن . . ولعل فى الفردوس قوما لا يدركون أحرف (الكمثرى) أكلها أصلية أم بعضها زوائد ؟ فيبتسم رضوان ويقول : ان أهل الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون :

فانصرفوا - رحمكم الله - فقد أكثرتم الكلام فيما لامنفعة فيه ، فيطلبون لقاء (الخليل بن أحمد) فيطل عليهم قائلا : ماذا تريدون ؟ فيعرضون عليه مثل ماعرضوا على رضوان فيقول لهم : إن الله جلت قدرته جعل من يسكن الجنة ممن يتكلم بكلام العرب ناطقا بأفصح اللغات كما نطق بها (يعرب بن قحطان أو معد بن عدنان) فاذهبوا راشدين - ان شاء الله - فينصرف الأدباء وتنتهى رسالة الملائكة . تلك التى نتلمس من أسلوبها وخيالها أن رسالة الغفران أينعت فى نفس أبى العلاء . فأرسلها تحمل صنعته على الرواة الذين صحفوا أحاديث الشعراء . وعلى الشعراء الذين نجوا من عذاب الله دون عمل يسلك بهم سبيل النجاة (فى رأيه)

وأما دانتى فقد علمنا أنه عذب وشرد فى الآفاق . . وحكم عليه بالأعدام حرقا . ثم كان محبا من قبل ذلك لبياتريشى Beatrice وتفتحت أزهار حياته الأولى على أيدى القديسين والرهبان يغرسون فى نفسه بذور التفكير فى الجنان والنيران . وعذاب العصاة ونعيم الطائعين . فلما أوشك أن ينطفىء سراج حياته ، وأذنت شمسه بالمغيب قبيل وفاته بأسابيع قلائل نظر وراءه فرأى قوما اضطهدوه وشردوه ورأى حبا مضاعا لم يستمتع به ثار فى نفسه ما يثور فى كل نفس عجزت عن نيل الامانى فعمدت للخيال تحقق به ما أضلته فى الحقيقة . وتخيل رحلته فى الجحيم وفى النعيم يلقى فى جهنم من شردوه وعذبوه ويلقى فيها البابا بونيفاشيو Bonifazio الذى كان السبب فى تشريده وتشتيت شمله ، يراه فى الدرك الثامن من جهنم فى ثلة من المعذبين أمثاله غرست رؤوسهم واكتافهم الى الأسفل فى حفر عميقة . وأما بقية أجسامهم فقد ظلت معرضة لوابل النيران التى كانت تنصب عليها جزاء على اتجارهم بالدين . واتخاذهم من اسم الله ذريعة لجلب المنفعة لأشخاصهم ، ويرى فيها الكونت جويدو منفيلترو monfeltro di Guido الذى خدعه البابا بونيفاشيو . . ويرى بياتريشى حبيبته فى طبقات الجنان مستمتعا عن طريق الخيال بما لم يستطعه لدى الحقيقة . ووصف استقبالها عند باب الجنان وصفا هو أخصب ناحية فى أدبه . وسنذكر ذلك الوصف كاملا غير منقوص حين الحديث عن الموازنة بين الخيالين عند الشاعرين . أفرأيت اذن كيف كانت الحوافز النفسية الخاصة تدفع كلا من الشاعرين أن يتخيل تلك الرحلة العجيبة ؟ نعم كل منهما كان فى نفسه نزوع لما كتب

هل سرق دانتى رسالة المعرى ؟

مسألة طال حولها الحوار والجدل ، ولم نر دليلا ماديا على السرقة أو على البراءة منها . ولكن قوما يردونها . . فقد قال الاستاذ محمد كرد على : ان أعمى المعــــرة كان معلما لنابغة إيطاليا فى الشعر والخيال . وبعض الباحثين من المستشرقين فى أوروبا على أن دانتى فى روايته الآلهية قد اقتبسها - ولا سيما الجحيم - من رسالة الغفران للمعرى

وقال جورجى زيدان : إن المعرى توفى سنة ٤٤٩ ه ودانتى توفى سنة ٧٢٠ ه ، وملتن الانجليزى توفى سنة ١٠٨٤ ه . فلا بدع إذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . وأقدمهما (دانتى) لم يظهر الابعد احتكاك الافرنج بالمسلمين والايطاليان أسبق الافرنج إلى ذلك

ذلك هو رأى جورجى زيدان توسع فيه حتى أدخل ملتن أيضا فى الاقتباس من المعرى وحجته تأخر الزمن بدانتى وملتن واحتكاك الافرنج بالمسلمين ، فهل ذلك كله ينهض دليلا على اقتباس الفكرة أو يكفى برهانا على الأخذ ؟ المسألة لاتعدو الحدس والظن . وانا لنرى البراهين تنحاز ناحية دانتى فتبعده عن الأخذ وعن الاقتباس .

فقد بدأ حياته يتعلم الدين ، يكفل ثقافته القديس فرانشسكو Francesca

ولقد كان عصره عهد قوة سلطان البابوات والكهنة . ولن يقوم لهؤلاء سلطان إلا بقوة النزعة الدينية . وإبان ذلك تتكاثر صور الجنة والنار واردة فى أخيلة الناس وأذهانهم . أليس فى نشأته الدينية ، وفى عهده الملىء بالتعصب الدينى مايكفى فى ان ترد الجنة

والنار فى خياله ؟ على ان فكرة الجنة والنار والنعيم والجحيم تدور برؤوس الناس منبلج الصباح وأفول الشمس فى كل يوم . فهى حق شائع لجميعهم لا يعده الأدباء أخذا . ولو أنهم عدوه لكان كل شعرائنا وأدبائنا سراقا . ولكان امرؤ القيس سارقا لانه بكى الديار كما بكاها ابن حذام من قبله ، اذ يقول امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وانما الذى يعده الأدباء سرقة هو أخذ الفكرة النادرة التى ينفرد واحد بها . أو الترتيب الذى لا يستطيعه الا الشواذ والأفذاذ فهل سرق دانتى الترتيب من رسالة الغفران ؟ اللهم لا

لحراس الجحيم فى خيال المعرى ملائكة ، وفى خيال دانتى شياطين ، وأشخاص الرواية عند المعرى شعراء ورواة . وعند دانتى رجال دين وعصاة ومذنبين ، والجنة عند دانتى تسعة أقسام لكل قسم طائفة عملوا الخيرات كل على حسب عمله . وعند المعرى ثلاثة أقسام « جنة الجن » وجنة (الرجاز) والجنة الاصلية .

وقد بلغ المعرى أسمى خياله لدى وصفه الفردوس . كما كان أخصب النواحى خيالا عند دانتى هو وصف الجحيم

وسنعرض لذلك بالموازنة التامة (ان شاء الله)

على أنه ان كان لابد من أن نتهم الشاعر الطليانى بالاقتباس . فأولى ان نعتقد أخذه من فرجيليو Virgilio الذى كان دليله فى رحلته وهاديه فى ظلمات الجحيم . ولفرجيليو هو الآخر رحلة فى أعماق الجحيم هى أقرب لخيال دانتى من رسالة الغفران

ولقد كانت لدانتى أحلام فيها ملائكة وفيها موتى ، هى إرهاص ومقدمة لرسالته العتيدة

فقد رأى فى حلم من الأحلام أنه ضل فى غابة موحشة فأطلت عليه محبوبته بياتريشى فى سحابة من الملائكة وعليها لهب قرمزى كأنه اللهب المتأجج . وخيل اليه أنه يتغلغل فى عالم الأموات كما تحدث فى بعض أشعاره قائلا : ها أنذا جالس فى مكانى أذكرها وأذكر أيامها السعيدة فيلوح لى كأن ملائكة من السماء تهبط من عل وتأخذ أماكنها على المقاعد الموجودة حولى

فاذا ضممنا الى ذلك كله أن حبه ألهمه خيال الجنة ليستمتع بمن أحب ، وان بغضه لمن حاربوه ونفوه وشردوه يوحى اليه ان يتخيلهم فى دركات الجحيم ، وان تلك طبيعة النفس تشره لنيل آمالها ولو عن طريق الخيال . عرفنا براءته من السرقة

يتبع   محمود احمد النشوى

٤ ـ بديع الزمان الهمذانى

للدكتور عبد الوهاب عزام

عاش أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذانى أربعين عاما أمضى شطرها نائيا عن بلده وعشيرته فى طلب المجد والغنى ، فبلغ ما أراد . نبه ذكره واتصل بمعظم الأمراء والوزراء فى الشرق : شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وخلف بن أحمد ، وبنى فريغون ، وبنى ميكال والسلطان محمود ، والصاحب بن عباد ، والفضل بن أحمد ، وأبى نصر من وزراء الدولة الغزنوية . وعرف كثيراً من رؤساء نيسابور ، وطوس ، وسرخس ، ونسا ، وبلخ ، وهراة . وصار مطمح أصحاب الحاجات يتوسلون به الى أولى السلطان والجاه ، يتبين ذلك فى كثير من رسائله . وقد قال فى رسالة الى الشيخ أبى النصر فى أمر بعض الفقهاء : « وهؤلاء الصدور ، يرون الشمس من قبلى تدور . » (١) يعنى أن الناس يرونه قادراً على تيسير حاجاتهم . وكان له عناية بالأمور العامة يبذل فيها من عقله وجاهه . كتب الى الوزير الفضل ابن أحمد مع وفد من هراة ذهبوا اليه يلتمسون تخفيف الخراج عن أهل مدينتهم ، وكتب الى رئيس هراة فى أموال رأى جبايتها حراما ، وكتب الى وزير السلطان محمود فى قتل رجل اسمه أبو عثمان : « والله لئن سكن السلطان العظيم وتغافل ، وتسامح الشيخ الجليل وتساهل ، ان الله بالانتصاف لملى ، وان الله على الانتقام لقوى ، والمحنة ادام الله عز الشيخ الجليل فى ذهاب ذلك العالم المسلم ، دون المحنة فى بقاء هذا الظالم المظلم ، ولئن ساغ لهذا الفاسق ما فعل ليرخص نجم المسلم ، وليراق دم العالم ، وليصيرن كل سكين منشور ولاية ، ثم ليتسعن الخرق على الراقع ، وليس دم المسلم بيسير عند ربه ، ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه ، أليس الله تعالى يقول : من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا . وانا أعيذ بالله هذه الدولة من أن توصم بتعطيل الحدود ، او توسم باهدار الدماء ، وعسى الله ان يوفق الشيخ الجليل لتدارك هذا الأمر ، ان ذلك على الله يسير

ويقول فى الرسالة نفسها : « ورد على خادم الشيخ الجليل

(١) الرسائل ص ١٠٩

كتاب من أقصى خراسان والعراق بحديث تسيار فلان وصاحبه فلان وذكروا معرفتهما باحوال الثغور، وممارستهما لما يعرض بها من الخطوب، وان اعين المرابطين والغزاة طامحة الى نصره، من السلطان العظيم أعز الله نصره وقد بعثوا بهما وفدا وقدرا انهما يجداننى بالحضرة فاكون لهما لسانا، وتنجزا الى كتابا ليعلمانى، ولو امكننى النهوض لاحتسبته لهما واذا لم ينهض قدمى، فقد أستتاب قلمى، والشيخ الجليل يرى عالى رأيه فى تقريبهما لنصرة الله والاصغاء المثوبة ان شاء الله تعالى (١)

وفى هذا ما يبين عن مكانته بين الناس واهتمامه هو بأمورهم. ونجده أحيانا يكتب للاصلاح بين فريقين متحاربين (٢). وقد مكنته هذه الهمة العظيمة من دفع المفسدين عن نيسابور، وكان اذ ذاك فى مستهل صيته ومبدأ نباهته، يقول فى رسالته الى ابيه بعد ان وصف ما كان بخراسان من هرج ومرج: لا ولا شىء الا السلاح والصياح، وكل شىء الا السكون والصلاح، وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور ودارى بين القبة الرافضة وكل يوم تهديد، ورعب جديد، فقلت:

ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصد مبصر

فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء، والعلاج قريب المأخذ، وهلا نفر من طائفة الغزاة؛ الى هؤلاء الغواة، وآزرهم اهل الصلاح وانا اول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وانفق عليه، ففعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد أهل الفساد، إن جرح الجور، قريب الغور، وان نار الحلفاء سريعة الانطفاء، وان كيد الشيطان ضعيف، ثم اسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب، وباموالها من ذهاب وانتهاب، وبأسواقها من فساد وكساد، وباسعارها من غلاء، وباهلها من جلاء، افليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح؟ عجبا من تعاون المفسدين على اخذ ماليس لهم، وتخاذل المسلمين عن منع مالهم (٣)

أخلاق الهمذانى

أظهر أخلاق ابى الفضل بديع الزمان، الانفة والعظمة، ومن أجل ذلك يكثر فى رسائله عتاب الامراء والرؤساء على التفريط فى جنبه أو انزاله دون منزلته. كتب الى أبى جعفر بن ميكال حين آنس منه التقصير فى الحفاوة به: «وأعرفه إنى ما أطوى مسافة مزار إلا متجشما، ولا أطأ عتبة دار إلا متبرما، ولست كمن يبسط يده مستجديا، أو ينقل قدمه مستغذيا فان كان الامير الرئيس أطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامح أو طامع، فليعد للفراسة نظرا

فما الفقر من أرض العشيرة ساقنا   اليك ولكنا بقرباك نبجح (١)

وكتب إلى الأمير خلف بن احمد وهو الذى اصطفاه بأحسن مدائحه: «كتابى أطال الله بقاءك وقد كنت نذرت ألا أخاطب حضرته ثم روى لى القاضى حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد:

لحى الله صعلوكا مناه وهمه   من العيش أن يلق لبوسا ومطعما

فقلت أنا معنى هذا البيت، لأنى قاعد فى البيت، آكل طيب الطعام وألبس لين الثياب، ويفاض على نزل، ولا يفوض إلى شغل، ويملأ لى وطب، ولا يدفع بى خطب. وهذا والله عيش العجائز والزمن العاجز ..... ولعل جرما تصور، أو رأيا تغير، أو اعتقادا أخلف، أو ظنا اختلف. فأن لم يكن شىء مما سردت وأوردت فالغلط فى صدر القصة كان، وفى عجزها بان. وان كان كذا فبالله ما أرضى، ولو صارت السماء أرضا، ولا أريد، ولو انقطع الوريد. وانى لأستحى من الله أن أرى لى المثل الأدنى، وفى القوس منزع أما، وإن لم أكن بالعراق أمير البصرة، وببخارى زعيم الحضرة، فما أزعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى، ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع ورى، وانما نحوم حول المراد، ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفانى ولم أطلب قليل من المال

لا يكثر الأمير على من خلعه وصلاته. فوالله لو علمت أن قصارى أمدى سجستان أليها، وضياعها أقتنيها، وغلمانها أشتريها، وأموالها اتسع فيها، ولا مطمع فى زيادة بعد لآثرت الزهد على الطلب.» (٢)

وكتب الى عامل البريد: ولكنك طفقت لاتهاب سلطان العلم، فأعلمناك أن سلطان العلم لا يهابك. ولو اتصلت بالسماء أسبابك» (٣)

وكتب الى الوزير ابى نصر بن بريدة وقد قدم رجلا عليه: قدم اليوم على فلانا ولست أنكر سنه وفضله، ولا أجحد بيته وأصله، ولكن لم تجر العادة بتقدمه لانى الأيام الخالية، ولا فى هذه الأيام

(١) الرسائل ص ١٢٩ (٢) ص ١٥٧ (٣) ص ١٧٤

(١) رسائل ص ٤٧ (٢) ص ١١٦ (٣) ص ٢٢٣

العالية . وتشديد على الانسان مالم يعود ، الى أن يقول : « أنا لا ألبس الشيخ تجليل على هذه الخصلة ، ولا أحتمله على هذه الفعلة .

فأما أن تكون أخى بحق ... فأعرف منك غثى من سمينى
وإلا فاطرحنى واتخذنى ... عدواً أتقيك وتتقينى

لا أعدم كريما ، ولا يعدم نديما . ولى مع هذا الماء حالان لا واسطة بينهما ، إن صفوا أشربه ، أو كدرا فلا أقربه ، والسلام

وكان البديع ذا همة عالية ، ومروءة عظيمة ، يعطف على الناس ويرثى لهم ، ويصغى لأصحاب الحاجات ، ويشفع فيهم . وقد مر بعض ذلك . ومما يدل على نبالة نفسه وسمو همته ما كتبه حين هناه بعض الناس بمرض الخوارزمى ، وما يظهر فى رثائه الخوارزمى من حزن صادق

ويؤخذ من رسائله أنه كان جوادا : كتب إليه صديق يؤذنه بقدومه اليه ويسأله أن يستأجر له دارا فأبى الا أن ينزله معه فى داره ، وكتب الى صديق له مات أبوه يحذره من أن يقتر على نفسه ويحرم نفسه المتعة بماله كما حذره أن ينفقه فى اللهو واللعب (١) . ومن رسائله الى الامير أبى الحارث محمد مولى أمير المؤمنين : « وأما الدرهم والدينار فدفعهما ونزعهما من يدى سواء . لا أشكر واهبهما ولا أشكو سالبهما . إن لى فى القناعة وقتا وفى الصناعة بختا » (٣) يشهد بهذا ما أرسله الى أبيه من المال وما أرسله الى أقاربه وأصدقائه من الهدايا .

وبديع الزمان على حسن معاشرته ، وحلاوة حديثه ، وما ينزع اليه من الفكاهة فى كتابته ، كان فى طبعه الانقباض ، والنفرة من الناس والتشاؤم ، يظهر هذا حين يصف الزمان أو يرثى الموتى أو يهجو رجال عصره من القضاة والكتاب ، وأصحاب الأعمال . وحسبك من رسالته التى أجاب بها شيخه ابن فارس حين كتب اليه يذم الزمان : « نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام ، أنه الحمأ المسنون، وإن ظنت الظنون . وأن الناس ينسبون لآدم . وإن كان العهد قد تقادم ، وارتبكت الأضداد ، واختلط الميلاد ، والشيخ الامام يقول : فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا؟ ، الى أن يقول : وما فسد الناس ، وإنما أطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام، وإنما امتد الظلام . وهل يفسد الشىء الا عن صلاح ، ويمسى المرء الا عن صباح ؟ »

(١) الرسائل ص ١٤٩ (٢) ص ١٠١ (٣) ص ١٥٥

ويقول فى الديوان :

كذاك الناس خداع ... الى جانب خداع
يعيثون مع الذئب ... ويبكون مع الراعى

ولعل من هذا المزاج المنقبض كانت شدته فى الهجاء ، وافحاشه فى الذم أحيانا ، وميله الى العزلة ، ولذلك كان أحسن شعره ونثره ما كتب فى الرثاء أو التعزية أو الوعظ .

ويؤخذ من رسائله أنه كان عزوفا عن اللهو ، يعاف الخمر ، ويتجنب المحرمات . وفى رسالته التى كتبها لابى الطيب سهل بن محمد يقول عن نفسه والخوارزمى : « ونحن فى كل حال ، على طرفى محال ، هو خوارزمى ولست من خوارزم . وهو شاعر ولعن الله النظم ، وخمرى ولا أشرب الخمر ، ونائى ولا أسمع الزمر ، وعودى ولا أحسن النقر ، ونردى ولا ألعب القمر .

ويؤخذ من رسائله كذلك أنه كان متألها يلتزم السنن جهده . وقد بلغ من الورع أنه كتب وصية يأمر فيها باتباع السنة فى تجهيزه ودفنه ، وينهى عن البكاء عليه ، وهى مثبتة مع رسائله .

ونجد فى رسائله مع هذا أنه يجيز الكذب ان كان فى الكذب خير يقول . فى رسالة الى بعض وزراء الغزنوية . « زعم أدام الله تمكينه انى أخلف المواعيد ، وأرد العذر البعيد . ومتى ادعيت أن قولى يكتب فى المصاحف أو يتلى فى المحاريب ؟ ومتى تبرأت من الأحاديث . والله انى لأكذب الكذبة أظنها لحسنها صدقا » (١)

وفى رسالة أخرى : « وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به فى الدارين ، وغدا أعرفه الحديث » (٢)

يتبع — عبد الوهاب عزام

(١) الرسائل ص ١٣٤ (٢) ص ١٧١

مِنْ طرائفِ الشِّعرِ

البهـــال (١)

للشاعر الحاج محمد الهراوى

همُ الناس قد ألقوا علىَّ حمولهم
على علمهم أنى أضجُّ بأحمالى
ويبلغُ ظنُّ المرء منهم جهالة
بأنى أنا وحدى له وحدَه خالى
فعمِّى وعماتى ، وخالى وخالتى
وأبناء أعمامى ، وأبناءُ اخوالى
وآلى ، وأصحابى ، وآل صحابتى
ومن ليس من صحبى ومن ليس من آلى
يكلفنى قومى ثمانين حاجة
ولم يحملوا منهنَّ ذرَّةَ مثقالِ
كأنىَ فيهم ، والحوائجُ جمةً
وقد أثقلوا ظهرى ، مطية أثقالِ
لئن سرَّهم منى خلائق عائلٍ
لقد ساءنى منهم خلائق بُهَّالِ (١)

(١) البهال . ـ جمع باهل وهو المتردد بلا عمل

الهوى والشـــباب

تعالَىْ نعش فى ربيع الشبابِ خليَّيْنِ من حَزَنٍ والتياحْ
ونُسبغْ على الكون ظلَّ الرجاء
فيغـــدُوَ طلقاً كثير السماحْ
ونُصغِ إلى هاتف فى الغصونِ
طروبِ الغناء ، شجيِّ النواحْ
ونجنِى مَلذَّاتِ فجرِ الحياةِ
فان الشبابَ سريعُ الرَّواحْ
تولى زمانُ الاسى والرَّنين
وأشرقَ عهـــدُ الهوى والمِراحْ
وزخرفتِ الأرض كفُّ الربيع
ولفَّتْ ببُردِ الجمالِ البطاحْ
ورف على الزهر قطرُ النـــدى
رفيفَ الضُحى فوق ماء قَراحْ
فهيَّا امرحى وابسمى للحيـــاةِ
وحيِّى الربيعَ ، نجىَّ المِلاحْ
له اللهُ من عبقرىٍّ الفتونِ
صَناع البنان ، ظليل الجناحْ
تراءى عليــه رداء النعيم
فيـــا حُسنه مُجتلى ، حيث لاحْ
أطـــلَّ فأسفرَ بِشرُ الوجوهِ
وآبت بشاشةُ ثغرِ الصباحْ
ومَسَّتْ يداهُ يبيسَ الحقول
فعاد غزيرَ الجنى والنفاحْ
وآوى إلى ظله اللاغبون
وألقوا هنالكَ عبءَ الكِفاحْ

***

تعالَىْ إلى روضـــةٍ برَّةٍ
وظـــلٍّ ندٍ ، وصفاءٍ مُتاحْ
تعالَىْ أبثّكِ نجوى الفؤادِ
وأسمِعكِ شبـــهَ أنين الرِّياحْ
تغلغلَ حبكِ بين الضلوعِ
وخالطَها مِثلَ ماءٍ وراحْ

فأحيا خيالى حتى استفاض
وأضحى بعيــدَ مجالِ السراحْ
جمــالكِ أوحى إلىَّ القصــيدَ
وما كنتُ قبلكِ جمَّ الصُّداحْ
نعشْتِ فؤادىَ بالذكرياتِ
وهدْهــدْته بالمنى فاستراحْ
وعلَّمته من نشـيدِ الحياةِ
لحوناً تفيضُ بروحِ الطّماحْ

. . . .

جراحُ الهوى . كأنى . لذةٌ
فيا حبُّ أيقظ دفــين الجراحْ

دمشق — حلمى اللحام

الجـــدول الحالم .

تدفق كشعرى بالحنان : ولا تكن
شحيحاً . فهذا الزهر نشوان من ضمكْ
ووقِّعْ أناشيد الحياة على الحصى
ودع صادحات الطير تثمل من لثمكْ
وسر حالماً ما بين عشبٍ منمق
وبين شجيراتٍ تضاحكن من حلمكْ
تدفق . لأنتَ الناىُ يلهبُ خاطرى
وانت شبيهى فى صداكَ وفى وسمكْ
تدفق ، وثُرْ ، وابعث أغانيك حرةً
ولا تخش مأفوناً يلوم ولا يدرى
ألاَ إنما الالحان تملك منطقى
ولحنُك أولى أن يُغنى على شعرى
ولحنك آلامى ، ثوَتْ ملءَ خافقى
سنين إلى أن رُعتَها أنت من فكرى
ووثبك بين الرمل ، وثبى لدى الصبى
وعهد الصبى أغلى الذى فات من عمرى

ألاَ حبذا كوخٌ لديك ومرتعٌ
بشطك أقضى فيــه أسعدَ أيامى
لقد ضقتُ ذرعا بالحياة وأهلها
وشرَّدتُ فى بحبوحة العمر احلامى
ونفسى تخاف الناس ، حتى كأننى
أعاشر عجماواتٍ تسعى لاعـدامى
منعتُ يمينى عن تحيــة فاجرٍ
مخافة أن تدمى بمخلبه الدامى . !

.....

تدفق : وأنشدْ . إننى وحدى الذى
يعى كلَّ ماتلقيه من وَحْى قيثاركْ
وغيرى من الأحياء ألهتهمُ الدُنى
فصمُّوا جميعاً عن قريضى وأشعاركْ
لئن كنتَ مغموراً ، فلحنك خالد
وكم ذائع الآثار يعنو لآثارك
شدونا كلانا ياغديرُ ، فلم أصِبْ
مُصيخاً ، ولم تلفِ المذيعَ لأسرارك!

عبرتُ إليك اليوم، والضوء ضاحك
بصفحتك الخجلى، وقد فاض بشره
وقد هبط النسمُ الجرىء للثمها
حدوباً، عظيمَ الشوق، يُسكرُ نشرُه
وغرّدَ عصفورٌ على غصن دوحة
أغاريد عربيد تزايدَ سُكرُه
وصفّقَ قلبي في الضلوع محاولا
عناقكَ، كي يهمي بمائكِ شعرُه

***

ألا قل عن الذكرى، وحدّث عن الهوى
ولو أنّ في ذاك الحديث شجى قلبي
وقصّ الذي تدريه عن ملعب الصبي
وعن حيرة النجوى، وعن لوعة الحب
وقل عن عهود الغيد ماقد وعيته
لعل بما ترويه تنفي جوى الصبّ
وحدّث عن الاولى حديثاً مفصّلا
فأنّى منها فزتُ بالأمل العذبِ

***

تدفق، وقل ياجدولي، هاهو الضحى
قد انساب منه النورُ فوقك كالتبر
تبسم، فهذا النسمُ هبّ مداعباً
مياهك، فياضَ الطلاقة والبشر
وإن كنتَ لاترضى عن الحسن والهوى
لأنك تلقى فيهما غايةَ الشرّ
فكن ثائراً، وارفع بألحانك النهى
إلى عالم سام من الطهر والبرّ . . .

***

أيا جدولي المجهول، ردّدْ خواطري
ففيها شفاء النفس من بعض أسقامي
ويارُبّ لحنٍ عاثرٍ متكاسلٍ
يُثير نبوغي، أو يُحفزُ إلهامي . . !
لكمْ نحت والأعصارُ يعوي مُدمّراً
بشطيكَ، والأمواه تلطم أقدامي .
وقد لاح في جوف الزعازع وامضٌ
تألق نوراً من ذرى الكوكبِ السامي

***

ألا فلنُغنّ الآن للنجم، علّه
يُضيء لنا ليلاً فتمضي المخاوفُ
لقد عشتُ مجهولاً بشطكِ مُهملاً
أقاسي جحيمي، دون ذنبٍ أقارفُ
نزفتُ دمائي في مياهكَ كلّها
بربك قل لي ما عسى أنا نازف ؟
عسى أن يشق النجمُ أسدافَ ليلنا
فتنقذنا الدنيا، ويُجدي التعارفُ !

مختار الوكيل

من الأدب الفرنسي

والحب . . . ؟

لأناتول فرانس

قرأت فيما قرأت كتيبا في ألمانيا عنوانه « على هامش سفر الحياة » للاستاذ جرهارد دامنتور ، فيه عرض قوي صادق لمعيشة النساء اليومية المضنية ، وقد ترى معي أن الحزن باد على هذا الجانب المظلم من الجنس اللطيف : « في سبيل مطالب الأسرة وحاجات الزوج والأولاد تفقد ربة البيت سناء جمالها ، وتذهب غضارة وجهها ، وتستهلك قوة بدنها ، وتنخر مخ عظامها . فهذا السؤال الخالد المعاد (ماذا عسى أن نطبخ اليوم من طعام ، ونهيء من إدام) وذلك الاضطرار الملح الى مسح البلاط ، وتنظيف الغرف ، ونفض الثياب ، وغسل الأواني إنما ، هما قطرة من ماء تتساقط دائمة دائبة ، لا تفتأ تعمل في بطء على إنحلال جسد المرأة وعقلها حتى لا تبقي منها شيئاً ، ولا تذر لها أثرا ، وامام الموقد المشبوب ، في المطبخ المشؤوم يستحيل هذا المخلوق الصغير ، الناصع الوردي ، ذو الضحكة الساحرة البلورية الى موميا هزيلة سوداء تبعث في الرائي الكآبة والألم !! وبين يدي ذلك الوجاق الأدخن الأسخم ، يطبخ عليه اللحم ، في القدر تناثرت ضحايا كريمة : ، الشباب ، الحرية ، الجمال ، اللذة

هذه عبارات جرهارد دامنتور ، وهذا حظ الكثرة الغامرة في الدنيا من بنات حواء . فأن الحياة عسيرة ملتوية عليهن كما هي عسيرة ملتوية على الرجال ، كل يئن من وعوثة الطريق ويرفع عقيرته بالشكوى والصراخ ! ولو راح باحث يستعلم وجه العلة في ذلك لأيقن أن ليس في الامكان أن يكون غير ما كان ، وأن الحياة لابد أن تكون مضنية لأن جميع مقوماتها ضئيلة تندر فوق كوكب صعب إنتاجه واستثماره ؛ ولن يرجى تخفيف عبء الشقاء لأن أسباباً عميقة متغلغلة مصدرها شكل الأرض ، وطبيعة تركيبها ، ونوع نباتها وحيوانها تحتم وا أسفاه دوام هذه الحال ، وتقتضي عسر المعاش الى يوم القيامة . ومهما يكن من أمر توزيع العمل في الناس فأن جمهرة الرجال وعامة النساء لتنوء كواهلهم بحمل اعبائه ، ولن ترى غير امرأتين أو ثلاث قد تخلصن من متاعب البيت ثم تسللن الى مواطن اللهو وخرجن الى باحة الحياة ينشرن الظرف والجمال ، على مواطن العطر الندي واللذة المتجددة ، ويدخلن الى النفوس الأماني والأحلام ! ! وانما اللوم كله لاشك عائد على الطبيعة وحدها

والحب ، ماعسى أن يكون مصيره ؟

لا نريد أن نعرف مصيره المنحدر اليه مادام الجوع عدوه اللدود وخصمه العنيد . ومن الواقع الذي لا يتطاول اليه الريب أن النساء جائعات أبداً ، قد وكل اليهن أمر الطبخ في القرن العشرين كما وكل اليهن أمره في القرن التاسع عشر ، اللهم اذا لم يرجع عهد هاتيك العصور النائية حين كان الصيادون يلتهمون فرائسهم ساخنة نيئة ، وحين كانت فينوس — آلهة الحب والجمال — تجمع العشاق جميعاً وسط الأحراج ثم تفيض عليهم من وحيها ما شاءت لها العاطفة المشبوبة أن تفيض ! يومئذ ، ويومئذ فقط ، كانت المرأة حرة طليقة قد تنصلت من تكاليف الحياة وخرجت على حدود الإسر والانكماش

وهأنذا أعترف اليكم بما يدور في خلدي ، فاستمعوا لما أقول :

لو كنت أنا خالق الجنسين من ذكر وأنثى لأبدعتهما على نحو يباين ما نعهده الآن فيهما من فقاريات لبون . كنت لا أخلق الرجل والمرأة على غرار القردة ؛ وإنما أنشئهما على صورة الحشرات التي تكد وتعمل إذ تكون ديدانا ، صغيرة ثم تنقلب الى فراش جميل طائر يحيا حياة التشرد والهيام ، لا شاغل له غير أن يحب وأن يحب ! وكنت أضع طور الطفولة والشباب في آخر مراحل الوجود البشري . والواقع أن نوعاً معلوما من الحشرات أثناء نموه وتطوره تبيد منه المعدة وتقوى الأجنحة ، فهو إنما جاء الى الدنيا بهذا الشكل المهذب ليتمتع منها ساعة أو ساعتين ثم يموت !

أجل ! لو كنت إلها (أو أليها (بالتصغير) لأن فلسفة الاسكندرية تعزو صنع هذا الكون الى آله صغير أو شيطان مبدع) لو كنت الهاً لما اتخذت غير هذه الحشرات نمطا أنسج على منواله الأنسان ، وكنت أجعل المرء يتم جميع أموره المعيشية الغذائية وهو جنين ، وفي هذا التطور الابتدائي لا أثر للغريزة الجنسية البتة ؛ ولا جوع يغشى الحب أو يلتهم معالمه ، ثم ادفع الحياة الى حيث يطير الرجل والمرأة على أجنحة رفافة ، يتنقلان فوق الزهور ، ويتذوقان ما يشتهيان ثم يموتان في معانقة وتقبيل . . . وهكذا أكون قد أكسبت الحياة الفانية جزاء وفاقا ، ووضعت الحب تاجا على رؤوس الاحياء من بني آدم . ولعلك توافقني على أن ذلك خير وأبقى ! !

بيد انني واحسرتاه لم أخلق الكون ، والآله المبدع لم يشاورني في الأمر ، وأنا أشك فيما بيني وبين نفسي أن يكون قد استشار أحدا من الفلاسفة ، ورجالات العلم والمعرفة ؟

حمص — محمد روحي فيصل

تذكار الشاعرة الكونتس دى نواى

١٨٧٦ — ١٩٣٣

للاستاذ خليل هنداوى

خلاصة مقال نشرته مجلة La Mus Francaise.
فى تموز الغابر للاديب (موريس دا)

دى نواى والطبيعة

يقول «جابريول» إن الشاعرة الفتاة - صديقة الحدائق - قد تأثرت كثيرا بالشاعر الكبير (جامس) وقد وضح هذا التأثر فى ديوانها «القلب الذى لا يمكن تعديده» فهناك تشابه قريب بين الروحين وبين الفنين . فمقطوعات الشاعر (جامس) (الآس البرى الأزرق) و (شجرات الجوز ذات الازهار البيضاء) و (طيب الغصون المبتورة قبل الشتاء، وهو ينتشر كالمحزون فى أجواء الغابة) قد ألهمت (دى نواى) كثيرا . وغذت مخيلتها الشعرية كثيراً . وهب أن (جامس) لم يكن مترنما بهذه المقاطيع ، فهل كان باستطاعة (دى نواى) أن تستنزل ذلك الالهام ، وان تخترق بروحها ما اخترقت من تلك الآفاق الواسعة .

قد يكون الجواب لا ، ولا ريب ! ولكن مالنا تنكر على (دى نواى) براعتها وخصائصها ، فمهما أنها كانت حميلة على (جامس) فى كل ما انتجت وأخصبت ، فان للشاعرة وراء هذا كله مجداً خالصا وبراعة خاصة . لقد أغارت على طائفة من معانى (جامس) اغارة روحية لا أدبية ، ونظمت ما تلجلج فيه (جامس) نظما رقيق الحواشى ، لطيف التعبير ، زاخرا بالعاطفة ، جرت فيه على الاسلوب العاطفى ، أسلوب (هوجو ولامرتين)

أما هوجو فقد كان كثير الرؤى والاحلام . و(بودلير) كان يعبث بالطيوب عبثا ، أما (الكونتس) فقد فتحت قلبها للصباح وودت أن تلمسه وتتذوقه بحاستى اللمس والذوق ، كما تقول : «أفتح فمى للهواء الذى ترطبه الأنداء»

وفى موطن آخر تراها لا تشبعها الطيوب ولا الألوان ولا الألحان ، تتذوقها وتظل جائعة نهمة ، فتعلن أنها تود أن تلمس العالم والطبيعة بيدها ، فتقول بلهجة صادقة :

(أريد ان المس عذوبة هذا الفضاء ، هذه العذوبة الندية الزرقاء حيث العصافير السكارى تثب وتنفذ فى مساربه كما تشاء)

فهى تريد أن تتذوق وان تتروح وان تتلمس وأن تلتهم جمال الصباح ، هى تستطيع أن تقول مع ((١) سانت انطوان) بتأليه الكون . (أريد أن يكون لى أجنحة ، وان أدخل فى كل شىء ، وان أكون فى كل شىء . أنتشر كالطيوب ، وأنمو كالنبات ، وأجرى كالماء ، وأرن كالألحان ، وأسطع كالنور ، وأوتى جميع الأشكال ، وأنفذ فى كل شكل وهيئة ، وأغور فى أعماق المادة ، وأكون بعد هذا كله — المادة . . .)

ودت الشاعرة أن تكون المادة بذاتها ، فدنت منها وامتزجت مع الأشياء وقالت (سيكون جميلا وحقاً إيمانى . . . . بأن قلبى المتوقد هو كهذه الكمثرى التى ينضج جلدها رويداً تحت أشعة الشمس) . وتمنت ان تكون أحد الكائنات فى الغاب ، فقالت والجشع غلب عليها :

(من أين جئت ؟ إن الوجود لم يحل العقدة التى تجمعنى بهذا المرأى .

أنا بنفسى ، أفق ، وجدول ، وكوكب ، وغابة)

على أن رغبتها قد تثور فتأبى أن تماثل جسدها الهالك بكل أشياء هــذا الوجود ، ويهيج نهمها الذى لا يشبع فتخاطب الزمن قائلة :

(وأنا مثل الزمن . أنا قبل مصر العتيقة . وقبل اليونان . كنت فى عهد الماء)

على أن مثل هذا الهذيان الخيالى قد يدعو إلى الابتسام ، واذا كانت الشاعرة — فى زمانها الذى هامت فيه — لم تخلص نفسها من تأثير أترابها الشعراء فيها ، ولم تجد لمسراتها التى تفننت بها ألحانا جديدة قوية ، فانها قد جارتهم وبزتهم فى كثير من مقاطيعها ، وابتدعت لنفسها أفقا جديدا ، واذا أدرك الشعراء الطبيعة وفهموا معانيها ورأوا ألوانها ، وتنشقوا أريجها ، فهى قد تروحت هذا الأرج وأصغت إلى ألحان الطبيعة التمتامة ، ولمست أشياءها وأكلتها وشربتها .

ألیس هذا نهمها الشعرى يبدو فى ثنايا سطورها ؟
وهكذا أجدنى أستطيع أن أطرح يدى للا نهاية

(١) الرواية (لفلوبير)

فاذا كل شيء دان من فمي ، لايمتنع عنه شيء)
واذا ماهبت النسائم العاطرة تروحت شذا خمور «آسيا»)
(وهذه الريح المهينمة . . .
المزودة بالسماء والفضاء ، والمناظر الواسعة
هي شبيهة بهذه الخمور القادم شذاها من « آسيا »
واذا ما جنحت الشمس للغروب وكان الأفق هادئًا جميلا ،
خيل لها أن الطبيعة نفسها قد استحالت كلبة جميلة أمينة مستوية على حضنها
(وكنت أحس أن هذا المساء الأنيس
يهرع الى من كل صوب ومن كل طريق
لينام بين يدى)

فيالها من ساحرة نهمة لاتشبع ، ويالها من غادة مجوسية — كما دعاها مارسيل بروست — هذه الغادة النهمة التي لاتقنع بارسال طرفها في الكون ، ولا بالاصغاء الى أصواته ، ولا بتروح شذاه ، فهي تعمل على ان تلمس وأن تلتهم الوجود التهامة الشره . ولهذه الرغبة الملتهبة والصور القوية المكتنزة يعود سر استعمالها للالفاظ (اللحدية) في شعرها ، ودى نواى الشاعرة هي التي كتبت (لأندريه جيد) عن الأطعمة الترابية — بكل مافي معنى الكلمة حتى أنزلت الطبيعة والحياة عندها منزلة (راحة الحلقوم)
(إن الهواء الحار يحمل الى أريكة تتهافت عليها روحي .
وبخاجة هذا المرج الاخضر هي في عيني مائدة فاخرة)

لكن اغراقها كثيرا في التشابه والمجازات قد يضل القارىء عن اغراض المقطوعة وعن قصد الشاعرة .

قد تكون وجهتها في شعرها وجهة (جامس) في شعره ، فان (جامس) قد تغنى بجبال (البيرية) التي حنت على طفولته وشدا بجمالها الساحر بألحان صادقة سامية رائعة ، و (دى نواى) قد تغنت بحدائق (فالوا) الفينانة ، وبدت شرقيتها في كل ما نظمت هذه الشرقية المغمضة ، فكانت تتروح عطور المشرق وتجد الوان جزائر (الارخبيل) وتذكر الارض وقد حالت عند المغيب شعلة ملتهبة ، هذه المناظر وهذه الأكوان قد آثرتها على كل شيء ووصفتها وحبتها بالألوان والشذا وبكل تلك الخاطرات السامية التي تموج في قلبها .

قال أحد نقادها بعد وفاتها « ان دى نواى قد أحبت التراب القدسي الذي يولد منه كل شيء ، واليه كل شيء يعود ، هذا المعبد الذي تتعاقب عليه الفصول الاربعة تعاقبا متشابها . أحبت في الأرض تلك المرضع التي يفيض قلبها رأفة وحنانا ، والتي تسمو عن الانسان القاسي على الضعفاء »

واذا تأمل قارىء (دى نواى) في شعرها يدرك أن هذا رأي خاطىء ، لأن الشاعرة لم تقدس الأعمال ولا الأيام . لكنها كانت كاحدى كاهنات (ادونيس) أو (باخوس) تحمل في صدرها ملذات حساسة متيقظة . وهي لاتتخذ الطبيعة موضوعا لها ، بل تتخذ موضوعها نفسها ، واذا ما خرجت عن نفسها لتتحد مع النجوم الساهرة ، أو لتمتزج مع الأطياف التي تخلقها بخيالها ، فانما تريد من وراء هذا كله أن تنمي وجودها ، وتستخلص من الوجود مسراتها النادرة

وهي القائلة عن نفسها : « قد أكون غير مجدية ، ولكن فراغي لايملؤه أحد »

« يتبع »

خليل هنداوى

العلوم

ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

— ٢ —

ملعوب القمر

نظر الانسان من قديم الى القمر ، فوجد بعض سطحه نيّرا كثير النور ، وبعضه قاتما قليل القتومة ، فتخيل عنه الأخيلة

وجاء التلسكوب فنظر اليه منه فزاد تفصيل ما كان يراه اجمالا ، فرأى مناطق الانوار قد اتسعت ، ومناطق الظلال قد امتدت ، وتداخل النور فى الظل ، وتداخل الظل فى النور ، وتمثلت فى ذهنه صورة الكرة الأرضية ببحارها الواسعة وقارّاتها المديدة ، وعرف البحر يدخل فى الأرض ، وعرف الارض تدخل فى البحر ؛ وعلم أن الارض تكون بها الجبال العالية الرواسى فتظهر فى الشمس للرائى البعيد واضحة وضاءة ، وتكون بها الوديان المنخفضة المستورة فتظهر فى الشمس للرائى البعيد قاتمـــة معتمة ، فطبق الأنسان علمه الارضى على ما رآه فى القمر من ظلال وأنوار ، ورسم الرسامون خرائط لوجه القمر كثيرة دقيقة ، فأما المناطق التى برزت بنصاعتها فأعطوها اسماء فلاسفة معروفين ، اوفلكيين مشهورين ، لأنهم خالوها جبالا شواهق خالدة فتخلد أسماءهم ، وأما المناطق التى امتازت بحلوكتها فحسبوها بحارا ومحيطات فأسموها البحر الحبيس Mare imbrium والمحيط العاصف

وغير ذلك من اسماء تسلس فى السمع وتجوز فى الافهام

وزاد الاتقان فى صناعة التلسكوبات فاحتد بها بصر الانسان ودقت ملاحظاته ، واستخدم التصوير الشمسى فى التقاط ما يرى من صور ، فعلم من أمر القمر مالم يكن يعلم ، ومع ذلك احتفظ علم الفلك بالاسماء الرنانة التى وضعت قديما أعلاما على مناطق القمر

ويظهر ان الانسان عزّ عليه فقدان هذا الحلم العزيز ، فلما قام صوت يجدده ويحييه منذ مائة عام وجد له آذانا تصغى وقلوبا تؤمن . ذلك ان العالم الفلكى المعروف الدكتور جون هرشل John Herschel ذهب فى بعثة الى جنوب افريقيا لدراسة النجوم فى نصف السماء الجنوبى كما درسها فى نصفها الشمالى ، ولما وصلها انطلق قلم بعض الكتاب يصف ما وجدت البعثة من العجائب وما كشفته فى القمر من غرائب ، وذلك على صفحات جريدة بالولايات المتحدة ذات مكانة رفيعة وحرمة معروفة اسمها «شمس نيويورك» New York sun ذكر المكاتب كيف اهتدى الدكتور «هرشل» بعد مناقشة علمية طويلة بينه وبين العالم الفيزيائى السير دافيد بروستر Sir David Brewster الى صنع تلسكوب جديد يستخدم فيه الضوء الصناعى فى توضيح الصورة البؤرية للمرئيات ، وأفاض فى تفصيل تلك المناقشة وذكر فيها كثيرا من نظريات الضوء وقواعده ومعقداته ، وقدّر العالمان نفقة هذا المخترع الجديد فكانت سبعين ألفا من الجنيهات ، فبعثا الى صاحب الجلالة الملك وليم الرابع بجملة الأمر ، وكان جلالته يهتم بالبحار أكثر من اهتمامه بالاقمار ، فسأل هل يفيد هذا المنظار الجديد الملاحة ؟ فكان الجواب نعم ، فامضى لهما حوالة بيضاء يرقمان فيها المال الذى يريدان . وصنع المنظار وجاء دور الرؤية فكانت رؤيا . نظر «هرشل» الى

القمر لأول مرة فماذا رأى ؟ « أخذ أول الامر يتفقد أراضى القمر وآفاقه اجمالا فرأى من ذلك عجبا ؛ رأى بلورات لامعة تشع منها ألوان مختلفة جميلة كالتى تشع من الجواهر والاحجار الكريمة ، الا أنها ذات جرم هائل ، فهى أشبه شىء باعمدة (الاستالاكتيت) البديعة التى تتدلى من سقوف الغيران . ورأى رواسب الذهب تغمر السفوح والقيعان» ثم دار بمنظاده فوقع على غابة قمرية « بها اشجار عظيمة اختلفت أجناسها ولمعت أوراقها وتلونت أزهارها ، وطالت بعض فروعها العالية وتدلت حتى نالت الارض . ونمت هذه الغابة الى جانب بحر ذى ضياء سحرى كأنما سكنته الحور . . . » وأخيرا وقع على حيوانات القمر فرأى « قطيعا من ذوات الاربع سمراء اللون أشبه شىء بثيران البيسون ، يتميز بغشاء من اللحم كالمظلة على العينين وامتد حتى اتصل بالاذنين ، هو لا شك وقاية من صنع الطبيعة أرادت بها حفظ أبصارها من ضوء يشتد على هذا الجانب من القمر حتى يبهر العين ويؤذيها » واتضح بعد نظرات عديدة أخرى أن حيوانات القمر كلها تشترك فى حمل هذا الحجاب الساتر » ثم دار « هرشل » بمنظاره هنا وهنا ، وبعد لأى « رأى جماعة من الطير تهبط الى جانب غابة صغيرة ، ولما مست أرجلها الأرض اختفت اجنحتها واستقام عودها ومشت مشية الانسان » وذات يوم استيقظت البعثة على صوت هاتف يهتف : النار النار . فهرعوا الى ناحية الصوت فوجدوا أنهم كانوا فى الليل غفلوا عن أن يوجهوا المنظار غير وجهة المشرق ، فلما طلعت الشمس أصابت عدساته فتركزت على ما وراءها فأحرقته وأحرقت المرصد بما فيه ، وأدهى من ذلك وأنكى أنها أساحت زجاج المنظار نفسه وأتلفت مراياه فخيم على المعسكر يأس شديد »

هذه كلها بالطبع قصة من خلق كاتبها ، أطالها ومدد فيها واستعار لها لغة العلم ، وقواعد العلم ، ونقاش العلم ، فسبكها وحبكها وأطلعها على الناس من فوق منبر معروف ، فجرت الشائعة فيهم بالتصديق . ولم تلبث أن جرت فيهم بعد حين شائعة أخرى بالتكذيب . وأسماها التاريخ « ملعوب القمر Moon Hoar »

وكان لهذا الملعوب معان كثيرة ، وكان له عبر كثيرة ، وكانت له مغاز كثيرة ، أقلها أن الناس أسرع ما يكونون الى تصديق الخيال الكاذب الملون منهم الى الايمان بالحقيقة العاطلة القاسية

أما الحقيقة ، ولست أدرى أهى عاطلة أم قاسية ، فهى ان القمر بلقع أجرد ، لا ماء فيه ولا نبات ولا حياة .

يتبع

احمد زكى

القصص

السهم الاعظم !

للأديب الانجليزى المعروف

أوسكار وايلد Oscar Wilde

ترجمة الأستاذ بشير الشريق

كانت الحفلات قائمة فى كل مكان لان ابن الملك على أهبة الزواج ، لقد انتظر عروسه ، وهى أميرة روسية ، عاماً كاملا ؛ وأخيراً جاءته بجنازة اليه المسافة الطويلة من « فنلاند » على زحافة يجرها ستة دببة ، تشبه فى شكلها أوزة كبيرة من الذهب ، وبين أجنحة هذه الأوزة اضطجعت الأميرة الصغيرة ملتفعة ببرنس من الفرو يصل الى قدميها ، وعلى رأسها قبعة من الدمقس الفضى ، وكانت فى صفرة وجنتيها تشبه قصر الثلج الذى عاشت فيه ، حتى ان الشعب كان كلما رآها تجتاز فى عربتها شوارع المدينة يهتف معجباً : « انها كالوردة البيضاء » ويرمى عليها الازهار من الشرفات .

وعند باب القصر وقف الأمير ينتظر عروسه ، تزين وجهه عينان عسليتان حالمتان ؛ وشعر كالذهب المصقول ، حتى اذا رآها جثا على ركبتيه وقبل يدها متمتماً « كم كانت صورتك جميلة ، ولكنك أجمل بكثير من صورتك » فاحمرت وجنتا الأميرة الصغيرة حياء .

قال وصيف الى رفيقه — كانت من قبل كالوردة البيضاء ، ولكنها الآن « كالوردة الحمراء » وعم القصر السرور

مضت ثلاثة أيام على مجيء الاميرة ، وكل شخص فى المملكة كان يردد خلالها « الوردة البيضاء ، الوردة الحمراء ، الوردة الحمراء ، الوردة البيضاء » . كما ان الملك قد أمر بمضاعفة رواتب الوصفاء والوصيفات . ولما كان الوصيف لا يأخذ راتباً لم يثر ذلك اهتمامه الا من ناحية ان أمر الملك الذى نشر فى جريدة القصر ، كان بذاته شرفاً عظيما له .

وكان اجتماعا حافلا هذا الذى سار فيه العروسان ويد كل منهما فى يد الآخر ، تحت مظلة من القطيفة الارجوانية الموشاة باللآلىء

ثم كانت وليمة الدولة التى دامت خمس ساعات ، وقد جلس فيها الأمير والأميرة فى صدر القاعة الكبيرة ، وشربا فى كأس من البلور الصافى لا يشرب فيها الا المحبون المخلصون ، لان شفاه الغدر لا تمسه حتى يأخذها القتام والتلبد .

قال الوصيف الصغير : — من الواضح انهما متحابان ، ذلك واضح وضوح البلور ، فضاعف له الملك راتبه للمرة الثانية .

صاح رجال البلاط — ياله من شرف عظيم !

وبعد الوليمة كان الرقص ، وكان على الأمير والأميرة أن يرقصا معا (رقصة الوردة) ووعد الملك أن يعزف بالناى ، ولكنه لم يحسن العزف أبدا ، ولم يجرؤ أحد أن يخبره بذلك ، لانه الملك لم يكن عارفا الا بنغمتين اثنتين ، وقد ظل حائرا ايهما يختار ، مع أن الأمر أهون من ذلك إذ ما من شخص الا كان على استعداد لأن يصيح مهما كان عزف الملك — هذا هو السحر . هذا هو السحر !

وكان آخر ما فى البرنامج استعراض الأسهم النارية عند منتصف الليل ، ولم تكن الأميرة الصغيرة قد شاهدت انطلاق هذه الأسهم من قبل . لذلك أمر الملك صاحب الاسهم النارية الملكى أن يكون على استعداد ليلة الزفاف .

سألت العروس الأمير — ماذا تشبه الأسهم النارية ؟

قال الملك وكان يجيب دائما على الأسئلة الموجهة الى غيره — انها تشبه شفق الصباح ، ولكنها أكثر بساطة ؛ انا شخصيا أفضلها على النجوم ، انها مبهجة بقدر ما يبهج عزفى على الناى ؛ من المؤكد انك سوف ترينها .

وهكذا نصبت منصة كبيرة عند نهاية حديقة الملك ، وحالما وضع صاحب الاسهم النارية الملكى كل شىء فى مكانه الخاص أخذت الاسهم النارية تكلم بعضها بعضا .

صاح صاروخ صغير — حقا ان العالم جميل ، وانى لمغتبط لانى قد تنقلت . ان الترحال يروح القلب ، ويريض العقل ، ويمحو

ما كمن فى النفس من تعصب .

قالت شمعة رومانية كبيرة — ان حديقة الملك ليست العالم ايها الصاروخ الغبى .. العالم مكان واسع جدا ، ولتشاهده تماما تحتاج الى ثلاثة أيام بطولها .

هتف دولاب كثير التفكير قد ثبت الى صندوق قديم — أى مكان تحبه فهو العالم عندك — ولكن الحب لم يعد رائجا فى هذه الايام ، لقد قتله الشعراء الذين تكلموا عنه كثيرا حتى لم يعد يصدقهم أحد .. الحب المخلص يتألم فى صمت .. وانى لأذكر أيام الـ .. ولكن ليس من الضرورى الآن . الحب شىء جميل عرفه القدماء ..

قالت الشمعة الرومانية — كلام هراء ! الحب لا يموت أبدا ، إنه كالقمر ، وسيعيش الى الأبد . أضرب لك مثلا : العروسان ، انهما متحابان كل الحب ، لقد علمت هذا الصباح كل شىء عنهما من ورقة سمراء حدث ان كانت فى نفس الدرج الذى كنت فيه : وهى تعرف آخر أخبار البلاط .

ولكن الدولاب القديم هز رأسه وتمتم — مات الحب ، مات الحب ، مات الحب !! . لقد كان من هؤلاء الذين يظنون أنك اذا أعدت الشىء الواحد مراراً عديدة يصبح فى النتيجة حقيقة

وفجأة سمع سعال خشن رنان ، فالتفت الجميع ليعرفوا مصدره فاذا به آت من سهم طويل له منظر المتشامخ قد ربط الى نهاية عصا طويلة ، وكان من عادته أن يسعل قبل أن يبدى أية ملحوظة ، وذلك ليسترعى الاسماع

قال — أهيم Ahem ، أهيم Ahem ! وأصغى الجميع الى الدولاب المسكين الذى ظل يهز رأسه — متمتما « مات الحب » . صاحت مفرقعة — النظام .. النظام .. لقد كانت سياسية من بعض النواحى وكان لها دائما عمل معلوم فى الانتخابات المحلية ، لذلك عرفت كيف تستعمل التعابير البرلمانية الخاصة .

قال الدولاب فى خفوت — مات الحب ثم أخذه النوم .

ولما عم الصمت ، وانتشرت السكينة ، سعل السهم للمرة الثالثة وأنشأ يتكلم ، لقد تكلم بصوت هادىء جداً وواضح جداً كما لو كان يملى أفكاره املاء . وكان ينظر دائما الى أعلى أكتاف الشخص الذى يخاطبه : وفى الواقع كان أسلوبه رائعا ..

قال — من حسن حظ ابن الملك أنه سيتزوج فى نفس اليوم الذى سأنطلق فيه ! حقيقة رب صدفة خير من ميعاد ؛ ولكن الأمراء موفقون دائما .

قال الصاروخ الصغير — يا عزيزى أظن الامر على العكس تماماً ، فاننا سوف ننطلق على شرف الأمير .

أجاب — قد يكون ذلك صحيحا بالنسبة اليك . بل انى لا أشك فيه ، ولكن الأمر معى يختلف جداً .. اننى سهم عريق فى المجد .. وقد تحدرت من أبوين نبيلين ، كانت أمى أعظم « عجلة » فى عصرها ، وكانت مشهورة برقصها البديع ، وقد عاشت معلقة بأحسن البارود ، وكان والدى شبيهاً بى ، ومن أصل فرنسى ، اذا انطلق ارتفع جداً حتى كان الناس يخشون ان لا يعود اليهم .. ولكنه كان يعود ، وكثيراً ما كتبت الصحف عن أعماله بعبارات الاطراء والاعجاب . وفى الحق ان جريدة البلاط قد لقبته ببطل « الأسلم النارية ! »

قال الضوء البنغالى — تريد ان تقول « الاسهم النارية .. الاسهم النارية .. ! »

أجاب السهم بلهجة خشنة — حسن ، لقد قلت الأسهم النارية ، ثم استمر فى حديثه .. لقد كنت أقول .. لقد كنت اقول .. ماذا كنت أقول ! ؟

أجابت الشمعة الرومانية — كنت تتحدث عن نفسك

— طبعاً ! أنا أعلم بانى كنت ابحث فى موضوعات طلية حينما قوطعت بكل وقاحة .. أنا أمقت الوقاحة والردىء من الصفات ، لاننى حساس باوسع معانى هذه الكلمة .. ما أظن أن فى العالم من هو أقوى شعوراً منى .. اننى متأكد تماماً من ذلك

قالت المفرقعة للشمعة الرومانية — من هو الشخص الحساس ؟!

اجابت الشمعة الرومانية فى همس لايكاد يسمع — هو الذى يطأ دائما أصابع أقدام الآخرين .

فانفجرت المفرقعة عن هدير من الضحك .

السهم محنقاً — أرجوك ، علا م تضحكين ! أنا لست اضحك

أجابت المفرقعة — اننى اضحك لاننى مسرورة .

قال السهم غضبان — انه لعذر أقبح من ذنب . يدل على انانيتك المفرطة ، قولى ما الذى يجيز لك أن تكونى مسرورة .. يجب أن تفكرى فى الغير ، بمعنى انك يجب ان تفكرى فى : اننى افكر دائما فى نفسى ، وانى لأتوقع من كل شخص أن يفعل فعلى ، ذلك مايسمونه « الأثرة » وانها لنعم الفضيلة ، لنفترض على سبيل المثال ، انه

قد حدث لى مكروه الليلة فكيف يكون حال كل واحد ؟

الأمير والاميرة لن يسرا بعدذلك ، وستنقلب حياتهما الزوجية رأساً على عقب ، وكذلك الملك فان اضطرابه سيكون عظيما أيضاً . حقيقة انى لا أكاد ابداً فى تصوير خطر مركزى حتى تغلبنى الدموع

فصاحت الشمعة الرومانية — أرى الأفضل لك اذا كنت تحب الخير للغير ان تبقى جافاً

وهتف الضوء البنغالى — بالتأكيد ، هذا ما يقضى به الشعور العادى . .

قال السهم فى استهزاء — الشعور العادى! .. حقاً لقد نسيتم بانى غير عادى ، وانى عظيم جداً .. لماذا . كل شخص يمكن ان يكون ذا شعور عادى ولكن يكون محروم الخيال ، أما أنا فخيالى لانى لا أنظر الى الاشياء كما هى ابداً . انى افكر فيها من ناحية بعيدة عن الحقيقة . حقاً لا يوجد بينكم من يحمل قلباً .. انكم تضحكون وتلهون كأن الامير والاميرة لم يقترنا الساعة .

هتف منطاد نارى صغير — حسن حقاً .. ولماذا لانضحك ولانلهو .. انها خير فرصة نغتنمها للسرور ، لقد صممت ان أخبر النجوم عن ليلتنا ، حين احلق فى الهواء . وسوف تراها تتلألأ حين أحدثها عن العروس الجميلة . .

قال السهم — آه ياله من رأى سخيف !. ولكن هذا ما كنت انتظره .. لاشىء فيك ، انك منتفخ فارغ .. لماذا .. قد يذهب الأمير والاميرة ليعيشا فى بلاد يجرى فيها نهر كبير .. وقد ينجبان ولداً وحيداً ذا شعر جميل وعينين عسليتين كعينى الأمير ، وقد يخرج فى أحد الايام يسير مع وصيفته ، وقد تذهب الوصيفة لتنام تحت الشجرة الكبيرة الضخمة ، وقد يسقط الولد الصغير فى النهر العميق ويغرق ، ان من المصائب الهائلة ، أيها الناس المساكين أن يفقد الأمير والاميرة ولدهما الوحيد .

قالت الشمعة الرومانية — ولكنهما لم يفقدا ولدهما الوحيد ولم يحدث لهما مكروه .

أجاب السهم — أنا لم أقل انه قد حدث ذلك لهما ، بل قلت انه قد يحدث لو انهما فقدا ولدهما حقيقة لما كان من ضرورة للبحث فى الموضوع ، انى اكره الذين يبكون على الحليب المراق ، ولكن حين أفكر أنهما قد يفقدان ولدهما الوحيد أشعر بألم عظيم

صاح الضوء البنغالى — حقيقة تشعر بألم عظيم . بمعنى أنك ارق شخص عرفته فى حياتى .

قال السهم — إنك أغلظ شخص عرفته فى حياتى . وإنك لاتستطيع أن تفهم صداقتى للأمير .

فزمجرت الشمعة الرومانية قائلة — ماذا ؟ أنت لاتعرفه معرفة مجردة

أجاب السهم — أنا لم أقل أبداً بأنى أعرفه . . وانى أعلن بكل جرأة بأنى اذا عرفته سوف لا أكون صديقا ؛ إنه لأمر جد خطير أن يعرف المرء صديقه ؛

قال المنطاد النارى — حقاً ان من الأفضل لك أن تظل جافاً ، هذا هو الأمر المهم

أجاب السهم — مهم جدا بالنسبة اليك — أنا لا أشك فى ذلك ، أما أنا فسأبكى حين أشاء ؛ وبالفعل تفجرت منه دموع حقيقية ، جرت على عصاه كقطر المطر . فأغرقت خنفستين صغيرتين فى اللحظة التى كانتا فيها تفكران فى بناء بيت لهما وتفتشان عن بقعة جيدة جافة تعيشان فيها . قال الدولاب — يجب أن يكون ذا طبيعة خيالية حقيقية لأنه يبكى من دون أن يكون هنالك موجب للبكاء أصلا . . ثم صعد زفرة عميقة :

عندئذ طلع القمر أشبه بشىء بدرع فضى عجيب ؛ وأخذت النجوم تتلألأ ؛ وأصوات الموسيقى تتعالى من القصر .

كان الأمير والأميرة برأسان الرقص ؛ ولقد بلغ من جمال رقصهما أن السوسن الأبيض الطويل أطل من النافذة يتفرج ، والخشخاش الأحمر العظيم مد رأسه يمتع ناظريه ويتسلى .

ثم دقت الساعة العاشرة فالحادية عشرة ، فالثانية عشرة ، وعند منتصف الليل خرج كل شخص الى الشرفة الواسعة ثم أرسل الملك فى طلب صاحب الاسهم النارية الملكى .

قال الملك له — أطلق أسهمك النارية .

فانحنى الرجل الى الارض وسار الى نهاية الحديقة وبرفقته ستة معاونين قد حمل كل منهم مشعلا مضيئا معلقا فى رأس عمود طويل

لقد كان استعراضا ، بديعا موفقا فقد نجحت كل الاسهم الا السهم الأعظم ! فقد كان مبتلا بالبكاء لدرجة أنه لم يتمكن من الانطلاق ابدا ؛ كان خير مافيه البارود ، وهذا تشبع بالدموع حتى أصبح بلا فائدة .

قال السهم — يغلب على ظنى أنهم احتفظوا بى لأمر خطير ، وبدا أكثر تعجرفا من قبل .

جاء العمال فى اليوم الثانى ليعيدوا كل شىء الى مكانه

قال السهم — هؤلاء على مايظهر — هم الوفد ، وانى سأقابلهم بما يجب من العنجهية ، وهكذا وضع انفه فى الهواء وقطب حاجبيه كأنما يفكر فى امور خطيرة ؛ ولكنهم لم ينتبهوا اليه الا فى اللحظة التى هموا فيها بمغادرة المكان ؛ عندئذ رآه أحدهم فصاح ياله من سهم ردىء !! (Bad) ورمى به الى الخندق من أعلى الحائط .

قال وهو يتقلب فى الهواء — سهم ردىء Bad ! سهم ردىء ! مستحيل .. سهم عظيم Grand .. هذا ما قاله الرجل .. ردىء وعظيم لهما وقع واحد فى الاذن ، وحقيقة انهما - فى الغالب - شىء واحد ! وسقط فى الوحل ! . فابدى هذه الملحوظة :

انه ليس بالمكان المريح .. ولكن مما لاشك فيه انه مكان على « المودة ! » ، وانهم قد أرسلونى الى هنا لا ستعيد قواى ؛ حقيقة ان أعصابى محطمة ، وأننى فى حاجة الى الراحة .

حينئذ سبحت اليه ضفدعة صغيرة ذات عينين لامعتين وظهر أخضر ارقش .

قالت الضفدعة — أرى قادما جديداً .. حسناً ، بعد كل شىء لا يوجد مثل الوحل ... اعطنى جواً عطراً وخندقاً فأكون جد سعيدة ، هل تظن أن السماء ستمطر بعد الظهر ؟ إنى آمل ذلك ، ولكن السماء زرقاء صافية .

قال السهم - أهيم Ahem أهيم Ahem ! وأخذ يسعل ، فصاحت الضفدعة — إن لك صوتاً جميـــلا .. انه أشبه شىء بالنقنقة ؛ والنقيق طبعا أرق موسيقى فى العالم ، سوف تسمع أغانى نادينا هذا المساء ، اننا نقيم فى بركة البط القديمة بالقرب من بيت الفلاح ، ولا يكاد يطلع القمر حتى نبدأ غناءنا ، انه يؤثر فى النفس لدرجـــة أن كل شخص يتمدد فى الفراش يقظا ليصغى الينا ، بالامس فقط سمعت زوجة الفلاح تقول لامها : انه لم يغمض لها جفن طوال الليل بسببنا . انه لمما يبهج النفس أن يجد المرء نفسه مشهوراً بهذا المقدار .

قال السهم مغضبا : — إهيم ! إهيم ! ولم يزد . لقد بلغ به السخط مبلغا عقد لسانه .

الضفدعة مستمرة — حقا انه لصوت جميـــل .. آمل انك ستأتى الى بركة البط .. أنا ذاهبة أفتش عن أخواتى .. ان لى ست اخوات جميلات ، وانى لأخشى أن يصادفهن « الكركى » ، انه وحش كاسر وسوف لا يتردد فى أن يتغذى بهن .. وداعا .. اننى جد مسرورة من محادثتنا ، وأظنك كذلك .

قال السهم — محادثة ... حقا ... لقد احتكرت الحديث كل الوقت ، ان ذلك ليس بمحادثة .

أجابت الضفدعة — واحد يجب أن يصغى .. وأنا أحب أن أستقل بالحديث ... ان فى ذلك اقتصاداً فى الوقت وحيلولة دون الجـــدل .

قال السهم — ولكنى أحب الجدل .

قالت الضفدعة بأدب — ما أظن ذلك .. الجدل دليـــل الوحشية ، لان كل أعضاء الهيئة الاجتماعية الراقيـة يحملون أفكاراً واحدة . وداعا للمرة الثانية ... انى أرى أخواتى من بعيـــد ، وسبحت الضفدعة الصغيرة مبتعدة .

قال السهم - أنت جد مزعجة : وجد جاهلة ، انى أمقت الذين يتحدثون عن أنفسهم - كما تفعلين - حين يود أحدهم أن يتحدث عن أحد الأشخاص - كما أفعل أنا - وهذا ما أسميه أنانية ؛ والأنانية أمر لا يطاق : خصوصا على من كان فى مزاجى ، لاننى معروف بحسن العطف على الغير ؛ كان عليك أن تعتبرى بى ؛ انك لن تجدى انموذجا أفضل منى ؛ والآن وقد حصل لك شرف التعرف إلى ، يجب ربك أن تغتنمى الفرصة لاننى عائد الى البلاط حالا ؛ اننى محبوب جدا فى البلاط ؛ وقد اقترن الأمير والأميرة على شرفى ؛ أنت طبعاً لاتفقهين شيئا من هذه الأمور لانك قروية .

قال يعسوب كان جالسا على ورقة كبيرة سمراء من ورق البردى : لا فائدة من مخاطبتها ؛ لافائدة أبداً .. لانها قد ذهبت ..

أجاب السهم - حسنا ، إن فى ذهابها خسارة لها لا لى : أنا لا أقف عن محادثتها لمجرد أنها غير مصغية الى .. انى أحب أن أسمع نفسى أتكلم دائما . وهذا من أبهج المسرات عندى ، كثيرا ما ترانى أحدث نفسى أحاديث طويلة دون أن أفقه كلمة واحدة مما أقوله . وهذا دليل الذكاء المفرط .. !

قال اليعسوب - اذن تكون محاضرا فى الفلسفة فى مثل هذه الحال ، ونشر جناحيه الجميلين الرقيقين وحلق فى السماء .

قال السهم - انها لسخافة منه الا يمكث هنا ؛ انا اعتقـد أنها فرصة ثمينة له قل أن يقع على مثلها ؛ تفيده اضاءة فى عقله ؛ وعلى

كل فهذا لايهمنى ، من المؤكد أنه لابد وان يعرف الناس يوما ما قدر العبقرى الذى يكون مثلى » . وغاص قليلا فى الوحل . .

وبعد قليل جاءت تتهادى اليه بطة كبيرة بيضاء ، ذات سيقان صفراء ، وأقدام غشائية .

قالت — كواك . كواك . كواك ! ان لك شكلا غريبا . هل لى أن أسألك هل ولدت على هذا الشكل أو هو شكل طارىء ؟

فأجاب السهم — من الواضح انك انفقت عمرك فى الريف ، والا لعرفت من أنا ، وعلى كل فانا أغفر لك جهلك ، من الظلم أن تتطلب من الغير أن يكون مثلك عظيما .

أنا لا اشك فى انك ستدهشين حين تعلمين بانى استطيع أن أطير إلى السماء وأن اهبط الأرض فى مظهر الغيث الذهبى

قالت البطة — انا لا اهتم كثيرا بهذا ؛ لانى لااجد فيه ادنى فائدة لأحد الآن ؛ اذا كنت تستطيع ان تحرث الحقل كالثور ؛ او تجر عربة كالجواد ؛ او تحرس الأغنام كالكلب الاسكتلندى : هذا يمكن ان يكون شيئا !

فصاح السهم فى غطرسة وتعجرف — أرى انك تنتمين الى طبقة وضيعة ، شخص فى مركزى لايفيد أبداً : لنا أعمال معلومة ، وهذا فوق الكفاية ، اناشخصياً لاأميل الى نوع من الصناعات ، خصوصاً هذه التى نوهت لى بها ، ساعة من ساعات تفكيرى هى بالصناعات كلها

قالت البطة — وهى بطبيعتها مسالمة ، ولم تتورط فى مجادلة أحد — حسناً . حسناً . لكل رأيه . أكبر ظنى انك ستقيم هنا ، فى هذا الخندق .

صاح السهم — اوه ، كلا ياعزيزتى . لست أكثر من زائر ، زائر ممتاز . حقاً لقد أضجرنى هذا المكان حيث لا جمعية راقية ولا وحدة آمنة ، على الأرجح انى سأعود الى البلاط ..

قالت البطة — إنى افكر فى دخول الحياة العامة يوماً ما . . وعلى الآن ان أذهب الى البيت واعتنى بعائلتى .

قال السهم — لقد خلقت للحياة العامة ، وكذلك جميع اقربائى ، نثير الاهتمام حيثما وجدنا ! وعلى ذكر الحياة العائلية أقول انها تهرم الانسان بسرعة وقبل الاوان ، وتصرف العقل من الافكار السامية

قالت البطة — آه .. الافكار السامية :ما أنفسها ،إنها تذكرنى بما أشعر به من جوع ، وسبحت الى أسفل الغدير وهى تقول : كواك . . . كواك . . كواك

زعق السهم — ارجعى . ارجعى . عندى أشياء كثيرة أريد ان اقولها لك ، ولكن البطة لم تصغ اليه : قال لنفسه : أنا مسرور لانها ذهبت ، لاريب انها صغيرة العقل جداً . ثم غاص فى الوحل قليلا ايضاً ، وفى الوقت الذى ابتدأ يفكر فيه بوحدة العبقرى ظهر فجأة ولدان صغيران يركضان نحو الشاطىء فى قمصان بيض يحملان قدراً وأعواداً .

قال السهم — هؤلاء يجب أن يكونوا الوفد . وعمل على ان يظهر بمظهر العظيم

صاح أحد الولدين — تعال . انظر الى هذا العود العتيق (Old) انى لاستغرب ماالذى جاء به الى هنا . وأخرج السهم من الخندق

قال السهم — عود عتيق ، مستحيل ؟ ! عود من ذهب Goed Stick. عود من ذهب ، هذا أحسن أنواع المديح . .

قال الولد الآخر — دعنا نضعه فى النار ، انه سيساعد على غليان القدر .

وهكذا كدسا الأعواد بعضها على بعض ، ووضعا السهم فى الذروة ، واشعلا النار

صاح السهم — هذا بديع ! إنهم يودون اطلاقى فى وضح النهار لكى يرانى كل إنسان .

قال الولدان — انا نذهب لننام الآن ، وحين نستيقظ تكون القدر قد غلت ؛ واضطجعا على الحشيش وأغمضا عيونهما .

كان السهم مشبعا بالماء ، لذلك احتاج احتراقه الى وقت طويل ؛ وعلى كل حال فقد بلغته النار أخيراً

صاح — الآن سأنطلق . . يقينا انى ساعلو على النجوم ، سأعلو على القمر ، سأعلو على الشمس ، بمعنى أنى سأعلو . . .

— ويز ، ويز ، ويز ، وحلق فى الهواء . . .

صاح : هذا مبهج ! سأظل فى هذا الصعود الى الأبد ؛ ياله من نجاح عظيم ! ولكن لم يره أحد

ثم أخذ يحس بشعور غريب يستولى عليه فصاح : الآن سأنفجر ، وسأحرق الأخضر واليابس ، وسأترك دويا يظل حديث الناس أعواما طوالا » وفعلا انفجر ! بم ! بم ! بم ؛ لقد خرج البارود ، ولا شك فى ذلك ؛ ولكن لم يسمعه أحد ، حتى ولا الولدان الصغيران ، لانهما كانا يغطان فى نومهما .

وهكذا لم يبق منه الا العصا ، وهذه سقطت على ظهر أوزة خرجت تتنزه الى جانب الخندق

عندئذ صاحت الأوزة — ياإلهى ان السماء تمطر عصيا ؛ واندفعت نحو الماء .

لهث السهم — لقد علمت من قبل انى خالق شعوراً عظيما !

شرق الاردن

بشير الشريقى
المحامى

الكتب

حاضر العالم الاسلامى

تأليف لوتروب ستودارد الامريكى

ترجمة الاستاذ حجاج نويهض وتعليق الأمير شكيب أرسلان

لنا فى كل يوم مثل جديد ينهض دليلا قاطعا على أن النهضة الفكرية الحديثة جادة لا هازلة ، قوية لا تعرف الخور ، ثابتة الأصول لا يخشى على بنائها من الزلل والسقوط ، فهى نهضة تستمد الوحى من ماضيها الناصع المجيد ، ثم لا تقف عند ذلك راثية باكية ، إنما هى تتخذ من ذلك الماضى عدة . وعماد المستقبل تنظر اليه بعين يملأها الأمل ، وقلب يحدوه الرجاء . وأن نهضة لا تقيم صرحها فوق هام ذلك العماد الركين ، لهى هباء يسبح فى الهواء ، لا يتصل بالأرض ولا يرتفع إلى السماء . لانها عندئذ تكون هائمة فى عزلة زمنية ، لا تعرف لشوطها مبدأ ولا نهاية ، كما يخبط ذو السبيل الجائر فى بيداء موحشة مقفرة ، يرى الموت جاثما فى أحضان كثبانها انى سار

وإنا نضرب لك مثلا أوروبا حين قامت تنفض عن نفسها غبار القرون الوسطى ونهضت تشيد حياة جديدة زاهرة ، فلم تنشىء جديداً من عدم ، ولا هى أولت القديم ظهرها مزدرية له ناقمة عليه ، بل نظرت إلى الوراء قبل أن تبدأ السير إلى الأمام ، واستلهمت التاريخ - تاريخ الاغريق والرومان - لتستقى من معينه الدافق ماء الحياة التى تريد .

من أجل هذا ، يحق لنا أن ننظر إلى نهضتنا نظرة فيها ثقة ورجاء ، لاننا نلاحظ فيها نلاحظ اتجاها الى تاريخ العرب والاسلام ، يزداد سعة وشمولا فى اطراد لا ينقطع ، وأقل ما يقال فى هذا الاتجاه ، انه يشحذ الهمم الخامدة ، ويهدى نهضتنا سبيلا سواء .

فبين يدى الآن مجلدات أربعة ، كتبت فى حاضر العالم الاسلامى ، ألفها الكاتب الأمريكى لوتروب ستودارد ثم نقلها الى العربية الأستاذ عجاج نويهض وفيها فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الاسلامية وتطورها الحديث بقلم الأستاذ الكبير والمجاهد العظيم الأمير شكيب أرسلان ، وقد يظن القارىء — وله عذره فى هذا الظن — أن الكتاب المترجم هو الأصل ، وان ما كتبه الأمير شكيب حواش متناثرة هنا وهناك ، ولكن الواقع نقيض ذلك ، فالفصول المترجمة لا تتجاوز خمس المقدار ، وأربعة الأخماس الباقية هى حواش للامير ، وانه ليخيل الى أن كتاب لوتروب اتخذ تكأة لنشر هذه الفصول الكثيرة القيمة التى دبجتها براعة الأمير شكيب أرسلان فى شئون المسلمين والاسلام

فأما الفصول المنقولة الى العربية التى استأثرت بعنوان الكتاب فهى تسع كلها بحث دقيق فى حالة الشعوب الاسلامية فى العصور الحديثة ، فهو يحدثك فى تحليل ممتع عن اليقظة الاسلامية ، والجامعة الاسلامية وسيطرة الغرب على الشرق ، والتطور السياسى ، والعصبية الجنسية والتطورين ، الاقتصادى والاجتماعى ، ثم يختم فصوله يبحث فيما يسود تلك الشعوب من قلق يدفعها الى الثورة والانقلاب

أما حواشى الأمير فليس الى حصرها من سبيل ، وكلها شيق ممتع ولكنها - عندى - قد خرجت بالكتاب عن وحدته وتجانسه ، بل خرجت بالكتاب عما يجب ان تكون عليه الكتب من تركز فى موضوع بعينه ، وأدنته من دوائر المعارف التى من شأنها أن تجمع بين دفاتها شتيتا من ضروب العلم والمعرفة ، وهو يعترف بذلك فى المقدمة اذ يقول عن هذا الكتاب انه لم يصل بعد الى الدرجة المنشودة من السعة والشمول ، وانه يرجو ان تتسع يوما ما حتى يصح أن يقال ان فى اللغة العربية انسيكلوبيديا اسلامية أشبه بموسوعات العلوم التى عند كل أمة من الأمم الراقية التى يقتدى بها ، ثم يستطرد فيحفز همة الحكومات لوضع تلك الانسيكلوبيديا فيقول « وهذا الأمر وهو وضع معلمة أسلامية وافية ضافية لا يجوز ان يغيب عن نظر الحكومات الاسلامية التى تبغى الفلاح ، وتنشد الرقى والطيران الى النجاح بجناح ... .

ومهما يكن من أمر هذه الفوضى فى التأليف التى لا نطمئن اليها

ولا نرضاها ، فهو كتاب جليل القيمة كبير النفع ، ويجدر بنا أن نقتبس لتقديمه الى القراء عبارة الأمير التى صدر بها الكتاب «أما كتابنا هذا فى اجزائه الأربعة فانه يجوز أن يقال انه معلمة اسلامية صغيرة ، بل هو فى المباحث الجغرافية والتاريخية والاحصائية عن أقطار الاسلام النائية وبقاعه المجهولة فذ فى بابه ، وكذلك يمتاز هذا الكتاب بالمباحث السياسية التى قيض لمحررها ان يعلمها من عين صافية ، وأن يقف على الرواية الوثقى منها بطول خبرته ، وقرب سنده ، واستمرار مزاولته لهذه الأمور ٤٧ سنة ، وفيه بعد تراجم وأخبار ، لم يسجلها كتاب ولا جرى بها قلم ، فلا يجدها الناشد فى غيره اذ هى نتيجة مشاهدات الكاتب وما رآه بالعين وما سمعه بالأذن ، وما كان له فيه أخذ ورد . وعلى كل حال ففى هذا الكتاب من الطريف ما لا يسع انكاره الجاحد ، ولا يضيره مراء الحاسد .

ولا شك فى ان الأمة الاسلامية الناهضة الى تجديد تاريخها ، النازعة الى النماء بجميع فروعها وشماريخها ، ستتفطن الى كل ما يعوزها من هذه المقاصد الجليلة ، ومن جملتها تأليف المعلمة الكبرى التى هى من ضرورات رقيها وأشراط نموها ،»

زكى نجيب محمود

قلب جزيرة العرب

تأليف الأستاذ فؤاد حمزة

لسنا نشك فى أن الشرق العربى يجتاز اليوم عصرا ذهبيا زاهرا لا يكاد يدنو من غباره كل ما سلف من عصور ، وكأنى بالحياة قد دبت فى أعضائه المتزايلة ، فأخذت تنهض وتسعى الى النشاط والحركة ، بعد رقدة طال أمدها ، حتى حسبناها ضجعة الموت والفناء ، وها هو ذا ينهض ويستقيم على قدمين راسختين ، يشاطر اوربا فى الحركة الفكرية ويبادلها الى حد ما انتاجا بانتاج . ومازالت تزداد حركة التأليف فى كل يوم قوة وسعة وانتشارا بعد ان كنا الى عهد قريب لا نصادف فى المكتبة العربية ما يشبع للباحث حاجة أو يسد له رمقا - كائنا ما كان موضوع البحث - وكنا نقابل ذلك العقم والاجداب بالاسى والأسف ، فليس يسيرا على النفس الفنية الأبية أن تظل متكئة على عكازة الغرب فى كل ما تطرق من بحوث ، حتى ما يمس منها حياتنا فى اللب والصميم

وانا نسوق اليوم لهذه النهضة التأليفية مثلا جديدا هذا الكتاب الجديد: قلب جزيرة العرب الذى دبجته يراعة قديرة ونسقه فكر قدير.

ولقد كان أول ما اختلج فى نفسى من خواطر ، حينما تناولت يدى هذا الكتاب ، دهشة عميقة ، فيها كثير من السخرية بالماضى ، وفيها كثير من الأمل فى المستقبل ، فقد تساءلت : أفهذا أول كتاب حديث يكتب عن جزيرة العرب وهى تلك الديار التى تنزل منزلا ساميا من العقول والقلوب جميعا ، والتى تضطرب لها كل نفس بأدق المشاعر وأجمل الذكريات ؟ ! عجيب لعمرى أن يظل هذا النقص دون أن ينهض من الكتاب من يسد ثغرته ، واذن فقد ملأ هذا الكتاب الذى نحن بصدده فراغا شاسعا وأكمل نقصا معيبا شعر به المؤلف الفاضل الاستاذ فؤاد حمزة ، وشعرنا به جميعا ، فقد حمله على وضع كتابه هذا شعوره بنقص خزانتنا العربية وافتقارها الى مؤلف جامع لأحدث المعلومات الجغرافية والطبيعية والاجتماعية عن البلاد العربية ، وحاجة الجمهور الى مرجع حديث ، سهل التناول ، يجمع ما تفرق من المعلومات العامة فى الكتب العربية القديمة ، وكتب المستشرقين والرواد الاوروبيين مما لا وجود له فى اللغة العربية . والحقيقة ان جميع الذين يعنون بالشئون العربية ويتتبعون

تاريخ التطورات الحديثة والنهضات الوطنية فى بلاد العرب ، يشعرون بهذه الحاجة ، ويدركون الصعوبات الجمة فى التنقيب فى بطون الكتب العديدة ، عن معلومات مبعثرة هنا وهنالك فى طيات الصحف القديمة أو ثنايا التفاصيل المملة التى يسردها الزواد فى سياق رحلاتهم ،

قرأت هذا السفر الجليل ، فألفيته صورة قوية رائعة للبلاد التى كتب من أجلها ، وهو يقوم على أثاث متين من الاسلوب العلمى الصحيح ، يبدأ البحث بالبيئة الجغرافية فيتناول أطرافها جميعًا بالدراسة والتحليل ، ويصف لك فى أطناب سطح البلاد العربية ومناخها ، فى أسلوب لا يصدمك فيه جفاف الحقائق العلمية ، بل يخيل اليك وأنت تتلو هذه الصفحات انك تستمع لرجل يحدثك حديثا عذبا عن بلاد جاس خلالها وارتحل بين ارجائها ، وان كنا نأخذ على المؤلف فى هذا القسم الجغرافى بعض الهنات الهينات ، التى ما كنا لنذكرها لولا رغبتنا الصادقة فى أن يبلغ هذا المؤلف حد الكمال ، ومن أمثلة ذلك أنه يعلل جفاف الاقليم بانخفاض السطح ، وعدم وجود الجبال العالية التى تمسك الأبخرة وتحتفظ بها لتتبرد وتنهمل مطرا الا فى الجهات الغربية منها ، والواقع أن جفاف شبه الجزيرة يرجع الى وقوعها فى مهب الرياح التجارية التى تفد من الشمال الشرقى جافة لاتنزل المطر . هذا وقد جعل المؤلف عنوان الفصل السابع من هذا القسم ، الحرارة والمناخ ، كأن الحرارة ليست جزءا من المناخ ! وقد جاء فى صفحة ٦٠ هذه العبارة ، رياح المونسون ، وقد كان أجدى أن تذكر بما عرفت به فى الكتب العربية وهو الرياح الموسمية

ثم ينتقل بك إلى القسم الثانى من الكتاب وهو تصوير دقيق لحياة السكان فى تلك البلاد ، فيقص عليك دقائق المعيشة اليومية : ماذا يأكل القوم وماذا يشربون ويلبسون ، وكيف يتزين النساء منهم والرجال . كيف يقيمون المآتم والافراح ، كيف يتعهدون أطفالهم بالتربية فى الحواضر ويطلقونهم اطلاقا فى البادية ، وفى أى المنازل يسكنون ؟ هذا فضلا عن تصويره للغة العربية فى حالتها الراهنة ، ويقدم لك نموذجا مما ينطق به ادباء اليوم من شعر ونثر ، الى آخر تلك الحقائق التى أكسبت البحث شيئا من الحياة النابضة .

فاذا ما انتقلت الى القسم الثالث وجدت ثبتا مفيداً فى القبائل العربية وأنسابها ، ولعله أشد فصول الكتاب جفافا على غير سكان الجزيرة من القراء . أما القسم الرابع فهو عرض قوى موجز لتاريخ البلاد منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا ، وهو أطول الفصول و أكثرها فائدة ولذة .

هذه الثروة الزاخرة يحويها كتاب ، قلب جزيرة العرب ، وفوق هذا فهو متقن الطبع ، جيد الورق ، جميل التنسيق .

ز . ن . م
